محمد جواد مغنية

علي والقرآن

مكتبة النهضة - بغداد

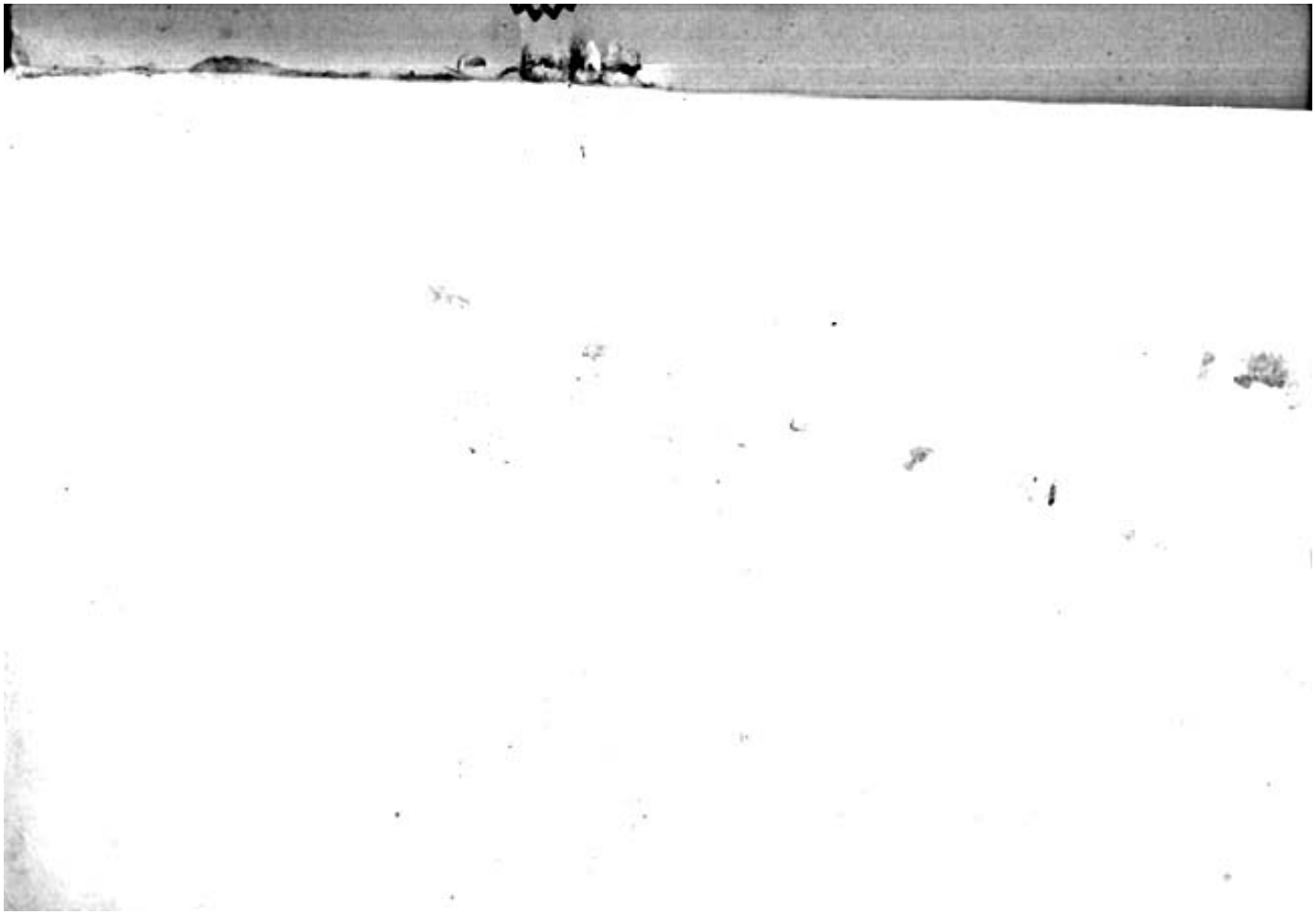

د. عبد الحفاظ

محمد جواد مغنية

علي والقرآن

علي مع القرآن والقرآن مع علي

«النبي صلى الله عليه وآله»

هدية المرحوم
د. عبد يحيى الخفاجي
مكتبة الروضة الحيدرية

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٦٨٨٨
التاريخ ١١/٧/٢٥

الطبعة الرابعة

مكتبة النهضة
للطباعة والنشر والتوزيع

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

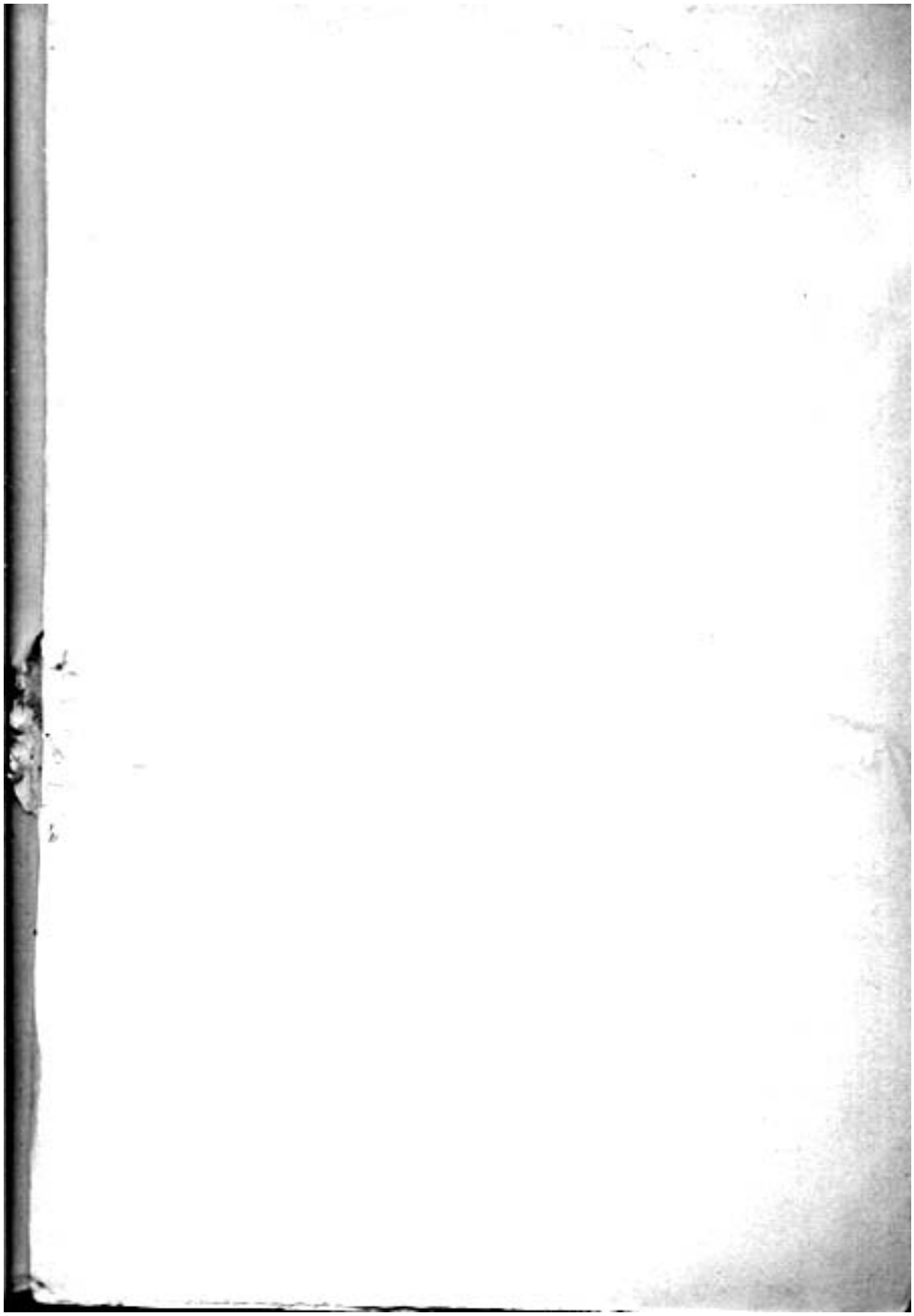

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما — النساء ٦٦ » .

في ضوء هذه الآية الكريمة سرت في الصفحات التالية غير متأثر بمذهب أو وراثة أو بيئة . واذا ارتاب القارىء في دعواي هذه فلينظر الى ماقلت ، ويفترض ان القائل مجهول العقيدة ، على شريطة ان يتجرد عن التقليد والتعصب وإلا فقـد أقفل على نفسه باب المعرفة ، وفقد الهداية بالعقل والكتاب والسنة .

ولقد قرأت في حياتي الواناً من التعصب الديني والمذهبي والسياسي ، بلى قرأت الكثير عن الدماء الزكية التي سالت

أبحراً من عسف للتعصب وخسفه ، ولكنني ماوقفت عند شيء مما قرأت كموقفي عند كلمة جاءت فى مقدمة كتاب « فقه السنة » للسيد سابق ، قالها وهو ينعي على المتعصبين وينـــدد بالمقلدين الذين وقفوا عنـد أقوال أئمة المذاهب الأربعة ، قال في وصفهم :

« قد فترت هممهم ، وضعفت عزائمهم ، وتحركت فيهم غريزة المحاكاة والتقليـد ، فاكتفى أحـدهم بمذهب معين يتعصب له ، ويبذل كل ما أوتى من قوة لنصرته ، وينزل قول امامه منزلة قول الشارع ، وقد بلغ الغلو في الثقة بالأئمة الأربعة حتى قال الكرخي : كل آية أوحديث يخالف ماعليه اصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » .

لقد جعـل هذا المقلد من اقوال اصحابه حاكماً على القرآن والحديث ، وجعل الله والرسول محكومين لمذهبه، الحديث عنده ليس بشيء اذا خالف اصحابه ، والقرآن مؤول أو منسوخ بأقواله ! . أرأيت كيف يفعل التعصب

بأهله ؟ ! والى أي درك يهودي به ؟ ! وأي فرق بين هذا القول وقول فرعون : أنا ربكم الأعلى . وقول النمرود أنا أحيي وأميت ؟ ! تعالت قدسية الله وعظمته .

وكل من قال بقياس غير معقول لابد أن يقع في هذا المحذور الذي وقع فيه هذا المقلد الاعمى . ومرة ثانيـة أعيد القول : ان المصدر الذي اعتمد عليه هو كتاب الله وسنة الرسول ، وعلى القاريء المنصف ان يحاكمني ويحكم على أقوالي بهذا القياس .

وبعد ، فهذا هو الكتاب الرابع من سلسلة « عقيدة الاسلام » ، وكان العزم ان يكون موضوعـه « الامامة والعقل » كما أعلنت في الكتب السابقـة ، ولكنني قرأت في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر ـ وأنا أبحث وأنقب في مصادر الامامة ـ ماقاله ابن عباس : « مامن آية في القرآن إلا علي أميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله اصحاب محمد في غير مكان ، وما ذكـر علياً إلا بخير » .

وما قاله ابن عساكر: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى مانزل في علي ، ولقد بلغت الآيات فيه ثلاثمائة آية » قرأت هذا فشعرت من نفسي الرغبة في ابراز هذه الحقيقة.

والله سبحانه المسؤول ان يلهمني الحق والصواب .

والسلام على من قال: ان أمرنا صعب مستعصب لايحتمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو عبد امتحن الله قلبه للايمان .

الاسلام وضربة علي يوم الخندق

أين نزل القرآن ؟ وفي أي بيت ولد الاسلام ونشأ وترعرع ؟ ومن الذي تعهـده ورعاه حتى أصبح قوياً منيعاً ؟ ومن الذي كدح في سبيله ، وتحمل الأذى وضحى بالنفس والأهل والأولاد من أجله ؟ ومن الذي فدى الرسول بمهجته ، وسبق الى دعوته ؟ ومن الذي قاتل الاقارب والارحام ، وشهر سيفه فى وجوه الابطال والشجعان ولم يدع بيتاً في العرب إلا ترك فيه ناعياً أو ناعية من أجل كلمة « لا إلـه إلا الله ومحمد رسول الله » ومن الذي سبح ابناؤه فى بحر من دمائهم وذبحت الرضع من احفاده في حجور الأمهات ، وتثنيأ ولده البكر قلبه قطعاً من السم ، وسبيت بناته على رؤوس الاشهاد يبتز العدو نقابها ورداءها ، وأي شهيد أنجب من الشهداء أولاداً وأحفاداً وابناء أحفاد وأحفاد أحفاد ؟ ومن الذي احرقت

بيوته ومساكنه بعد السلب والنهب . كل ذلك من أجل القرآن واحياء مبادئه والعمل بتعاليمه .

ان هذه الصفات لم توجد مجتمعة إلا بالامام علي بن أبي طالب (ع) .

عاش محمد (ص) في نفس البيت الذي عاش فيه علي ، حيث كفله عمه أبو طالب ، وزوجته فاطمة بنت اسد بعد أن توفي ابوه عبدالله وجده أبو عبدالمطلب (١)

---

(١) لعبدالمطلب عشرة اولاد ذكور: العباس وحمزة والزبير وجحل ، وهو الغيداق، والمقدم وضرار وهو نوفل ، والحارث وأبو لهب ، وهو عبد العزى ، وابو طالب ، وهوعبد مناف ، وعبد الله وكانوا من امهات شتى الا عبدالله وابو طالب والزبير فان امهم فاطمة بنت عمرو ابن عايذ ، ومحمد وعلي ابناء عم لاب وأم ، ولم يعقب الزبير ، واعقب عبدالله محمداً ، وأعقب أبو طالب جعفراً وعقيلا وعلياً ، وكان كل واحد من اولاد أبي طالب يكبر اخاه بعشر سنين « بحار الانوار للمجلسي » .

وكانت أم علي أبر الناس بالنبي بعد عمه أبي طالب ، وأول هاشمية ولدت هاشمياً ، وقد اسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة وتولى النبي دفنها والبسها قميصه واضطجع في قبرها ، وبكى عليها ، وقال جزاك الله خيراً من ام . ولما سئل عن ذلك قال : انها كانت احسن خلق الله صنعاً إلي بعد أبي طالب .

ولد علي في الكعبة ، وفي نفس السنة التي تبهل فيها الرسول (١) واعتزل في جبل حراء ، ومكث علي قليلا في بيت أبيه ، ثم انتقل ، وهو طفل الى بيت الرسول ، وذلك ان قريشاً أصابتها شدة ، وكان أبو طالب ذا عيال فضم العباس جعفراً ، والنبي علياً ليخففا عنه ، وبقي ملازماً له في جميع حالاته .

وأسلم علي قبل أن يمضي على نزول الوحي أربع

---

(١) قيل : ولد علي سنة ٣٠ لميلاد الرسول .

وعشرون ساعة (١) وشارك النبي في أول صلاة صلاها لله ، وكان معه في حروبه من أولها الى آخرها ماعدا غزوة تبوك ، حيث استخلفه الرسول على المدينة ، ليعلم الناس بأنها لاتصلح من بعده إلا بعلي ، واعلن ذلك بقوله للامام : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي ، ويدل هذا الحديث دلالة صريحة على ان علياً يستوجب من محمد كلما وجب لهارون من موسى مما نطقت به الآية الكريمة واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزرى وأشركه في أمري » وكما استجاب الله لموسى بقوله : « قد أوتيت سؤلك ياموسى فقد شهد لمحمد بأنه لاينطق عن الهوى ان هو إلا

(١) من طرائف الحيل والتلاعب بالالفاظ ان بعض القدامى لما لم يجد مفراً من الاعتراف بأن علياً سبق الى الاسلام لف ودار ثم قال ، اول من اسلم من النساء خديجة ، ومن الرجال ابوبكر ومن الصغار علي !

وحي يوحى » .

استحق علي هـــذه المـــنزلة من الله والرسول لعمله لا لقرابته من محمد فقط ، فكما ان محمداً عظيم ، لأنه على خلق عظيم لابأعمامه وأخواله كذلك علي عظيم باخلاصه وجهاده وحسن بلائه مع الرسول ، فقـد كان يقتل من جيش المشركين النصف لوحده ، ويقتل المسلمون بكاملهم النصف ، كما حدث يوم بدر ، وفر جيش الرسول يوم أحد إلا قليلا ، كان في طليعتهم ابو الحسنين علي .

ويوم الخنـــدق تجمعت الاحـزاب ، وتألبت قريش وغطفان وفزارة واليهود وغيرهم ، واتفقوا كلمة واحدة على غزو المدينة عاصمة النبي والقضاء عليه وعلى الاسلام، حتى لايبقى له عين ولا أثر ، وتراكم جيش الشرك من فوق المسلمين ومن أسفل منهم ، وزاغت أبصار الأصحاب وبلغت القلوب الحناجر ، وما رجعت اليهم انفاسهم الا بعد ان شهر سيفه كاشف الكربات وكافي المهمات .

وقصة قتل علي عمرا أشهر من ان تذكر ولكنني أود الوقوف قليلا عند كلمة الرسول الاعظم : « برز الاسلام كله الى الشرك كله » .

وليس من شك أن عمراً كان كل الشرك ، لانه رأس المشركين وقائدهم ، وبه وحده يرتبـط مصيرهم حياة أو مماتاً ، أما المسلمون فرئيسهم النبي ، فهو الحامي والكفيل وبحياته يرتبط مصير الاسلام والقرآن ، اذن فما هو الوجه للتعبير عن شخص الامام « بالاسلام كله » مع وجود الرسول الاعظم ؟

والجواب : ان احزاب الشرك تجمعت وتراصت كتلة كتلة واحدة ، وهدفها الاول والاخير القضاء على الرسول فهو المقصود دون غـيره ، لان الاسلام قائم بشخصه وحده ، حيث لم يقو بعد وينتشر فى الاقطار ، ولم تعتنقه الا هذه الشرذمة القليلة التي التفت حول الرسول فالقضاء عليه تقطيع لاوصال المسلمين جميعاً ، وقضاء على الاسلام

في المهـــد ، واستئصال له من الجذور ، بحيث لاتقوم له قائمة .

وبرز علي لعكس الغاية أي ليقطـــع رأس الشرك ، ويقضي عليـه القضاء الاخـير حتى لايبقى له من أثر في جزيرة العرب ، ويزول العائق الأكبر من طريق الاسلام وانتشاره في كل مكان ، لان المشركين كانوا العقبة الأولى في سبيل الاسلام وامتـداده ، لذا قال الرسول بعـد ان قتل عمرو : « اليوم نغزوهم ولا يغزوننا » . برز علي لابن ود لتتم رسالة النبي كافية وافية ، وتحقق راية الاسلام في الشرق والغرب .

اذن مبارزة علي كانت نقطة التحول ، واشبه بمقابلة جيش وطني لجيش أجنبي فاتح في معركة فاصلة ، والحد الفاصل هنا بين الشرك والاسلام قتال علي وعمرو ، اما ان يقتـــل علي عمرا فينمحي الشرك من بلاد العرب ، وينمحي معه كل معارض للاسلام ، وأما ان يقتل عمرو

علياً ، فيذهب الاسلام ، وينتصر الشرك ، وتكون كلمته هي العليا .

ويأبى الله الا ان يكفي المؤمنين القتال بعلي ، والا ان يتم نوره بضربته لعمرو ، والا يكون له الفضل فى احياء الدين وتعاليم القرآن وانتشار الاسلام ، والا ان يشارك كل عامل بخير في ثوابه وحسناته ، فما من مسجد يبنى ، ولا مأذنة ترفع ولا معهد أسس للدين والشريعة ، ولامن صوت يرتفع بأي الذكر الحكيم ، ولا من صائم وقائم لله من يوم الخندق الى قيام الساعة الا يعود الفضل فيه الى ضربة علي لابن ود ، ولولاها لما كان الاسلام والقرآن وبهذا نجد التفسير الصحيح لقول النبي : « ضربة علي يوم الخندق تعادل عمل الثقلين » وفي رواية أخرى « لمبارزة علي لعمرو أفضل من أعمال أمتى الى يوم القيامة » (١)

(١) فى كتاب دلائل الصدق ان هذا الحديث ذكره صاحب المواقيت والحاكم فى المستدرك ص ٣٢ ج ٣ مق السنة .

وبه أيضاً نعرف السر لقول الشيعة بأن علياً شريك القرآن في آثاره وتأثيره في تنوير العقول واحياء العلوم ، وفي انتشار العقيدة الحقة على هذا الكوكب من يوم الخندق الى ماشاء الله ، لانه السبب للمحافظة على القرآن ، ودفع العدوان عنه ، واستمراره الى يوم يبعثون . وكلنا يعرف « إن الساعي للخير كفاعله » « وان من سن حسنة فله اجرها واجر من عمل بها » .

نقول هذا مع الايمان بأن علياً حسنة من حسنات النبي ، وان كل ما اتفق له من الخير كان بدعاء النبي وتوجيهاته . فالثناء على الامام كالثناء على ضوء القمر المستمد من نور الشمس ولا شيء أدل على ذلك من قول الامام مفتخراً : أنا خاصف النعل ، أي مصلح نعل الرسول ، وقوله :

« دخلت على رسول الله ، وكانت له هيبة وجلال ولما قعدت بين يديه إفحمت ، فو الله ما استعطت أن

أكلمه » ، وقوله :

« قد علمتم موضعي من رسول الله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ، ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ولا فعل ، ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العلم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أمه يرفع لي كل يوم نميراً من اخلاقه ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة ، وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة » .

وبهذه المناسبة أذكر حواراً دار بيني وبين أحد الأدباء الذين درسوا الامام درساً وافياً ، وانتشوا بعظمته وبلاغته

ولم يعرفوا شيئاً عن النبوة وجلالها .

قال : ان إنسانية الامام تفوق انسانية الأولين والآخرين

قال هذا ، ولم يستثن ! .

قلت : لابد من الاستثناء .

فأبى وأصر .

قلت : هذه دعوى تفتقر الى الدليل .

قال : ان الامام يرى اراقة الدم جريمة ، مهما كان السبب .

قلت : لم تأت بالدليل ، وانما أتيت بدعوي ثانيـة تطلب الاثبات .

قال : أوصى بقاتله ، وعفا عن مروان بن الحكم يوم الجمل ، ولم يقتل عمرو بن العاص يوم صفين ، وقد ظفر به ، وكانت النتيجة أن انتصر معاوية ، ثم قتل الامام:

قلت : ولكنه قتل الكثير فى بدر وأحد والأحزاب وخيبر وغيرها .

قال : كان في هـذه الحروب جنـدياً مأموراً ، ولم يكن آمراً .

قلت : كان في حرب الجمل وصفين والنهروان آمراً ، ومع ذلك قتل العشرات .

قال : قاتل مدافعاً لامهاجماً .

قلت : كل الانبياء والصلحاء يدافعون ولا يهاجمون ، ويستعملون العنف للقضاء على العنف ، يقتلون واحداً ، ليسلم المئات .

قال : أجل ، ولكن لم يعرف التاريخ ولن يعـرف انساناً أرحم من علي .

قلت : لو قلتها من الاول لأرحت واسترحت .

وأي شيء أدل على رحمة الامام وانسانيته من قوله: « اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه » . قد يكون الانسان رحيما بالكائنات كلها ، وقد يتغلب على غضبـه في حالات شتى ، وقـد يتنازل عن

الكثير من حقه ، أما الرحمة بالعدو والشفقه عليه فلن يفعلها إلا من جعله الله مصباحاً يهتدي به التائهون ٥

وكم تمنيت ان يتعظ بهذه الحكمة بعض المنتمين الى الدين الذين يحاولون الانتقام بطريق الدس والنفاق على المخلصين الابرياء ، لا لشيء الا لأنهم لايتبعون سياستهم الحزبية ، واغراضهم الشخصية .

القرآن والفلسفة

قال بعض الجدد من رواة الغرب : ليس للمسلمين فلسفة مستقلة ، وان فلاسفتهم رواة لسقراط وافلاطون وارسطو ، وغيرهم من فلاسفة اليونان .

وقد تصدى للرد على هذا القول جماعة اثبتوا بالدليل القاطع جهل قائله ، وتجنيه على الحقيقة . وما رايت - فيما قرأت - من وفى المقام حقه ، كالاستاذ قدرى حافظ طوقان في كتابيه اليتيمين : « الخالدون العرب » و « تراث العرب العلمي » .

قال المتحذلقون :

انى يكون للمسلمين فلسفة ، ولم يكن لهم - قبل ان يتصلوا بالأمم - الا القرآن والحديث .

وهذا حق وصدق ، لقد اتى على المسلمين حين من الدهر لم يكن لهم الا القرآن والحديث ، ولكن نسأل :

هل القرآن كتاب « ابو معشر الفلكي » والحديث قصة « ابو زيد الهلالي » وقد يجاب بانه في الامكان ان نرجع العلوم العربية والفقه الى القـــرآن والسنة ، أما البحوث الفلسفية ، كتقسيم الموجودات الى جواهر واعراض ، وقدم العالم أوحدوثه ، وأقسام التقابل . والحواس الباطنية ، وما الى ذاك من الموضوعات الفلسفية فلا يمكن اسنادها الى آية أو رواية ، لقد اعتمد القرآن في مخاطبة العرب على فطرتهم وعاطفتهم ، ولم يعتمـــد على البراهين وتأليف الأقيسة المنطقيـة ، لأن العرب كانوا أمة أميـة لايعرفون أصول الجدل والموازنات الفلسفية ، واذا لم يكن القرآن كتاباً فلسفياً فمن أين تأتيهم الفلسفة ؟ !

الجواب :

١ ــ ان القرآن لم يكن لجيل دون جيل ، ولا لأمة دون أمة ، وانما هو لجميع الامم والأجيال ، هو للانسان

أينما كان ، هو للحق والانسانية التي لاتحد بوقت أو مكان ولا بفئة أو جنس ، واذا كان القرآن للامم المتقدمة والمتخلفة على السواء كان من الضروري ان يخاطب الفطرة والعقل ثم أن العرب الذين خاطبهم القرآن كانوا على عقائد شتى فمنهم الدهريون الذين أنكروا الخالق والبعث ومنهم المشركون عبدة الأوثان ، ومنهم أهل الكتاب ، وقد ناقش القرآن هؤلاء جميعاً ، وقال كلمته الفاصلة فيما كانوا فيه يختلفون وأثبت الحق بالأدلة المنطقية والبراهين العقلية والشواهد الوجدانية وهل للفلسفة معنى أو هدف غير ذلك . !

٢ ــ ان الفلسفة كسائر العلوم لها موضوع وغاية ، وموضوعها طبيعة الوجود كما هو ، أي انها تبحث عن حقائق الوجود في هذا الكون ، أما غايتها فمعرفة الحقيقة ، والقرآن تكلم عن الكون وحدوثه وأصله ومصيره ، وعن السماء وأجرامها ، والأرض وآياتها ، وعن الانسان وحقيقته وأفعاله ، وما الى ذاك مما أصبح أساساً لكثير من العلوم

« ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ـ النحل ٨٩ » .

وقد وضع العلماء كتباً خاصة في علوم القرآن ، منها منهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني والتبيان لابن قيم الجوزي والاتقان للسيوطي ومباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي صالح ، وغيرها . أجل لم يكن للعرب إلا القرآن وكفى به مصدراً للعلوم وبحورها ، وبه وحده أصبح العرب آباء العلم الحديث ـ كما قال نهرو ـ لا بما نقلوه من الفلسفة اليونانية ، وبالقرآن دون سواه كان العلم يثب قائماً على قدميه في كل أرض وطأتها أقدام العرب ـ كما قال العلامة الانكليزي ولز ـ لا بآراء أفلاطون وأرسطو .

لقد نقل العرب عن اليونان ، كما نقل اليونان عن مصر وبلاد مابين النهرين ، وان دل هذا النقل على شيء فانما يدل على حضارة العرب وتفاعلهم مع الغير ، وانهم يرغبون أن يجمعوا الى علمهم علوم الناس ، ولا يقفوا

بالحضارة عند حد ، ويطلبوها أنّى تكون ، ويأخـذوا الحـكمة من أي وعاء خرجت ، كما أمرهم النبي العظيم والقرآن الكريم .

وإذا قال أجنبي جاهل أو متحامل بأن المسلمين ليسوا فلاسفة فقد كتب قادة الفـكر في الغـرب عن حضارة المسلمين وفلسفتهم المجلدات ، وأثبتوا بالأرقام ان الفضل في حضارة هذا العصر يعود الى العرب ، ولولاهم لتأخرت مئات السنين ، ان العرب ترجموا فلسفة اليونان الى لغتهم ولكن ماأتوا به من النظريات يجعل الموازنة بين الفلسفـة الاسلامية واليونانيـة ، كالموازنـة بين المركب الشراعي والمركب البخاري . ان الأمة التي أنجبت الرازي والبتاني والبيروني وابن الهيثم والشيرازي والطوسي والغزالي وابن حيان والفارابي وابن سينا والكندي وغيرهم وغيرهم لايصح فيهـا القول بأنه لافلسفة لها . ونذكر بعض ما ابتكر هؤلاء من النظريات على سبيل التمثيل لا الحصر :

سبق الرازي نيوتن الى نظرة الجاذبية ، حيث علل سقوط الجسم نحو الأرض بأن فيها قوة قاهرة تحكم على الأشياء بالانجذاب . والحسن بن الهيثم أول من وضع علم البصريات الذي يبحث سقوط الأشعة والضوء على الأجسام ووضع محمد بن موسى علم الجبر ، وكان لجابر بن حيان في الكيميا ماكان لأرسطو في المنطق . وقال هشام بن الحكم تلميذ الامام جعفر الصادق واستاذ النظام : ان الأصوات والأضواء أجسام ، لاكيفيات وأعراض . وسجل التاريخ لأبي الحسن الذي عاش في بداية القرن الثالث عشر للميلاد نظريات محكمة في قياس الوقت ونصير الدين الطوسي أول من فصل المثلثات عن الفلك ، وجعلها علماً مستقلا ، وكتابه « شكل القطاع » ترجم الى اللاتينية والفرنسية والانجليزية ، وبقي قروناً عديدة مصدر العلماء في أوربا :

وقال الاستاذ قدري طوقان في « الخالدون العرب » : « لايعتبر الطوسي متفوقاً في الهندسة لاعلى معاصريه فحسب

بل وعلى علماء الهندسة في هذا العصر » . وقال محمد بن ابراهيم المعروف بصدر المتألهين (١) بنظرية التطور وقررها على أساس متين وسبق دارون بثلاثمئة سنة . ولذا قال دروبير الاميركي في كتابه : « المنازعة بين العلم والدين » ان مذهب النشوء والارتقاء كان يدرس في مدارس العرب والمسلمين ، وكانوا قد ذهبو فيه الى مدى أوسع وأبعد مما وصلنا اليه بتطبيقه على الجامدات والمعادن معاً . ويوجد في مدينة اصفهان بايران مسجد اسمه « مسجد شاه » وضع تصميمه واشرف على بنائه بهاء الدين العاملي ، فاذا تكلم انسان بكلمة تحت قبته تكرر صدى الكلمة سبع مرات ، واذا تكلم فى طرفه سمعه من في الطرف الآخـــر ، على ماينهما من البعد ، حتى كأنه يتكلم فى أعظم مكبر للصوت وقد تبين ان السر في حجرين بأرض المسجد صنعهما البهائي

(١) رحلة « الامام الزنجاني » ص ٤٠٠ طبعة ١٩٤٧ ، وصدر المتألهين من فلاسفة القرن الساس عشر الميلادي .

بشكل هندسي دقيق ، وما زال المسجد قائماً الى الآن يؤمه المسافرون والسائحون من كل صوب .

ومرة ثانية نؤكد ان الفضل في حضارة العرب يعود للقرآن وحده ، ليس لأنه كتاب دين فحسب ، وانما هو كتاب دين وفن وتشريع وفلسفة وعلم واخلاق واقتصاد وسياسة . وسائر المعارف البشرية ، واذا لم نجد فروع هذه العلوم ومسائلها مبوبة مفصلة في القرآن ، كما هي في الكتب الموضوعة لهذه الغاية فاننا نجد فيه جميع أصولها وأسسها التي لاتشذ عنها مسألة واحدة يفرضها الواقع ، وقد تجلت هذه الحقيقة شيئاً فشيئاً بمرور الزمن وتقدم العلوم ، فكلما اكتشف جديد وجدنا له أساساً في القرآن ومن هنا قال ابن عباس : في القرآن معانٍ سوف يفسرها الزمن . وقال الامام جعفر الصادق ، ان في القرآن تأويلا منة ماقد جاء ، ومنه لم يجيء وقال : أي شيء الحلال

والحرام في جنب العلم ، يريد العلم الذي في القرآن (١) أي ان الفقه قليل من كثير بالنسبة الى ماتعرض له القرآن من العلوم ، وقدم الاستاذ نوفل في كتابيه الله والعلم الحديث ، والقرآن والعلم الحديث أرقاماً تشهد لهذا القول بالحق والصدق . قال ربنورث : « يجب ان نعترف بأن العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي أنعشت أوربا فى القرن العاشر مقتبسة من القرآن » وهل بعد هذا يقال : ليس للمسلمين فلسفة ولا علوم ؟ ! وهل بعد كتاب الله الخالد الذي لاينضب له معين يستكثر على الامام علي ابن أبي طالب أن يصف النملة والخفاش والطاووس ، وان يتكلم عن تنزيه الخالق دقائق والعلوم ، ثم يستنتج هذا المتحذلق ان نهج البلاغة مدسوس على الامام لا لشيء إلا لأنه لافلسفة للمسلمين ، والا لأنه فوق مستوى الامام العقلي

---

(١) علم اليقين لمحسن الفيض ص ١٢٦ طبعة ١٣٠٣ هـ .

والثقافي (١) ؟ !

ان نفي العلم عن الامام يستلزم أحد أمرين لاثالث لهما أما نفي العلم عن القرآن وعن محمد ، وأما ان يكون الامام جامع بعلوم القرآن وسنة محمد ، ولم يجرؤ عاقل على القول بواحد منهما ، هذا اذا كان للفلسفة واقع تعبر عنه :

وقد يتساءل : ماهي العلاقة بين القرآن ومحمد من جهة ، وعلي من جهة ثانية حتى جزمت وحكمت بأن نفي العلم عن علي يستلزم نفي العلم عنهما ؟

والجواب عن هذا التساؤل يعرفه كل مسلم ، وكل من ألمّ بتاريخ الاسلام ، ان القريب والبعيد يعلمان علم اليقين ان علياً ترجمان القرآن ، ولسانه الناطق ، وانه السبيل الواضح الى علم الرسول ، واعلم الناس بسنته كما قالت

(١) لقد أثبت الشيخ هادي كاشف الغطاء ، في كتاب « مستدرك نهج البلاغة » ان معظم خطب النهج كانت مدونة في كتب شتى قبل ان يخلق الشريف .

عائشة ، واذا كان علي جاهلا بالقرآن والسنة فمن هو العالم من الأصحاب ؟ ! وهذه العلوم الاسلامية التي اقيمت وتقام لها الجامعات ، ووضعت فيها آلاف المجلدات وكيف انتشرت في أقطار المعمورة ؟ أو من أين وصلت الى المسلمين مادام علم الكتاب والسنة محجوباً عن علي أخص الناس بالرسول وأخلصهم لله وأسبقهم الى الاسلام ؟ !

قال الرسول الأعظم : علي مني بمـــنزلة رأسي من جسدي (١) وعن أبي بكر انه سمع الرسول يقول : علي مني بمنزلتي من ربي (٢) ، وقال النبي : ليهنك العـــلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ، ونهلته نهـــلا ، وقال : انا مدينة العلم وعلي بابها (٣) وقال ابن عباس : أعطي علي تسعة أعشار العلم ، وشارك الناس بالعشر العاشر

(١) ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ص ٦٤ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر .

وقال عمر بن الخطاب : كان النبي يغز علياً بالعلم غزاً ، ومغنى الغز الغزارة والكثرة ، وقال سعيد بن المسيب : لم يكن من أصحاب الرسول أحد يقول سلوني إلا عليـاً وقال : لو شئت أوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة (١)

ولا ينتهي الحديث عن فضل علي ومكانه من العلم ولا يستطيع الكاتب ان يأتي بجديد بعد ان الف علماء الشرق والغرب من المسلمين وغير المسلمين في ذلك المجلدات الطوال

---

(١) المصدر السابق ص ٧٩ ، وكتاب « حياة علي بن أبي طالب » للشيخ الشنقيطي ص ٤٦ وبعدها طبعة ١٩٣٦ .

غاية الفلسفة عند الامام

اذا كانت الفلسفة أقيسة صورية ، وتقسيم الموجودات الى ذهنية وخارجية ، وجواهر واعراض ، وكليات لا وجود لها الا في الوهم ، واذا كان الفيلسوف هو الذي يجلس في غرفة مظلمة يفكر في حقيقة العالم وطبيعة الوجود وينزع بفكره الى التحليق فوق حياتنا هذه التي نحياها ، ويتخذ من عقله مختبراً يصنع له المبادىء والقواعد ، ثم يمليها على الناس الغازاً وطلاسم ، اذا كانت هذه هي الفلسفة فالامام أبعد الناس عنها وعن الفلاسفة .

واذا كانت الفلسفة توضيح الأفكار ، ثم عرضها على العقل ، ليحاكمها ويميز بين سليمها وسقيمها ، ويدعم الصحيح بالحجة والمنطق ، ثم ايمان القلب بما أرشد اليه العقل إيماناً لاتزحزحه القوى مجتمعة ، ثم العمل باخلاص على

طبق هذا الايمان ، اذا كانت هذه هي الفلسفة فالامام سيد الفلاسفة ومعلمهم الأكبر .

الفلسفة عند الامام :

ولست أحاول فى هذا الموجز ان أتكلم عن فلسفة الامام غير اني عثرت على كلمة له يمكن إن تحدد الاتجاه الفلسفي ، أو الغاية من الفلسفة عند الامام . قال :

« العقول أئمة الأفكار ، والأفكار أئمة القلوب ، والقلوب أئمة الحواس ، والحواس أئمة الأعضاء » .

ـ مثلا ـ اذا عرض للانسان فكرة ان الديمقراطية أفضل أو الدكتاتورية ، فعليه أن لايسرع الى التسليم والجزم بشيء قبل ان يحاكمه بعقله ، ويستعرض مالحرية والاستبداد من حسنات وسيئات ، ويقارن بينها مقارنة دقيقة ، فاذا ترجح عنده أحد الأمرين بمقياس معقول آمن به ، وسلم له ، وهذا هو دور القلب ، ومتى آمن الانسان بمبدأ

ايماناً صادقاً يصبح مثله الأعلى ، يعمل له ويضحي من أجله بالغالي والثمين ، لايهتم بالنقد ولا يبالي بالعقبات ، وهذا دور عمل الحواس والأعضاء .

وبعد ان اتضح مراد الامام يمكننا ان نستلخص من قوله هذه النتائج التالية :

١ ــ ان وظيفة العقل هي التمييز وغربلة الأفكار ، ولكن للعقل حدوداً لايستطيع مجاوزتها ، كما يأتي .

٢ ــ ان العقيدة ، أية عقيدة ، لاتكون حقاً وصواباً اذا رفضها العقل ، وتصادمت مع حكم من أحكامه .

٣ ــ ان النظرية التي تطابق الواقع ، ويحكم العقل بصوابها ، وان تكن حقاً من وجهة النظر العلمية ، ولكن لافائدة منها اذا لم توضع في حيز التطبيق .

وخلاصة ذلك ان الفكرة يجب أن تتحول الى عقيدة والعقيدة يجب ان تتجسم بالعمل الملموس ، وهذا ماأراده بقوله : « الايمان والعمل أخوان توأمان ، ورفيقان لايقبل

الله أحدهما إلا بصاحبه » :

الامام والماديون :

ان قلت : ان هذه هي الفلسفة المادية بعينها التي تجعل القيمة للعمل وحـــده ، وعلى أساسها يوفق الماديون بين الانتاج والتوزيع ، وينظمون العلاقات الاجتماعية بين الناس وكلنا يعلم ان الدين يتبرأ من الماديين ويرفض فلسفتهم :

قلت : أجل ، ان الدين ينكر فلسفة الماديين الذين لايتقبلون سوى وجود المادة ، ويقولون هي الأصل ، والروح فرع عنها ، وعارض من عوارضها ، وينكر الدين أيضاً فلسفة المثاليين القائلين بأن الفكر هو الأصل ، والمادة ظاهرة من ظواهره ، وإن الأرض والكواكب السماوية كلها روح فى صور المادة .

والسبب الباعث على حصر الوجود بالمادة فقط أوالروح فقط ان جماعة من الفلاسفة قالوا لو كانت حقيقة العقل غير

حقيقة الشيء المدرك لاستحال عليه ادراكه ، لأن أحد المتباينين لايمكنه أن يدرك المباين الآخر ، لعدم العلاقة بينهما ، ومن أجل التوفيق بين الاثنين أرجع الماديون العقل الى المادة ، ووحدوا بينهما ، وقالوا : ان العقل اهتزاز فى ذرات الدماغ والجهاز العصبي ، وعكس المثاليون الأمر فأرجعوا المادة الى العقل ، واعتبروا وجود الطبيعة وجوداً عقلياً لا مادياً ، فهؤلاء « عقلوا » المادة ، وأولئك «مددوا» العقل ان صح التعبير (١) .

وقال آخرون : ان كلا من العقل والجسم متميز ومستقل عن الآخر فى الوجود ، ومغاير له فى الحقيقة ، ولا مانع من ادراك العقل للمادة ، لأن معنى ادراكه لها ان ترتسم فيه صورتها ومثالها ، لا ان توجد بعينها فى العقل ، حتى

---

(١) أنظر كتابنا « الله والعقل » ص ٥٤ ومابعدها طبعة ثالثة .

إلا ماشاء الله ، وإذا قدس الامام العمل المثمر الذي يعود على الانسان بالنفع ، فانما يقدسه مع الايمان بوجود كائن لاتدركه الحواس ، لأنه فوق المادة ، وهو أصل الموجودات أو قل : ان الامام ينهي عن اللغو والكلام لأغـــراض موهومة لاتمت الى الحياة بسبب ـ مثلا ـ يطلب منك الامام ان تؤمن بوجود الروح لأنها حقيقة ثابتة متأصلة فى الوجود وفي نفس الوقت يطلب منك ان تقف عند هذا الايمان ، ولا تتجاوزه الى البحث والكلام عن كنهها وحقيقتها ، وانها « جوهر بسيط » أو مؤلف من ذرات لطيفة شفافة لأن بحثك هذا تماماً كبحث بعض المؤمنين ان الكبش الذي فدى به ابراهيم الخليل ولده اسماعيل كان يزن مئة كيلو غرام أو أكثر وان سفينة نوح كان طولها ثمانين ذراعاً أو دون ذلك ، حيث لاجدوى من الكلام عن وزن الكبش وطول السفينة .

وبعبارة أخرى ان الماديين يحصرون الكائن بما يحس

ويعتبرون الكلام عما عداه كلاماً فارغاً لايدل على معنى موجود ، والامام لايحصر الكائن بالمحسوس ، ولكنه يرى ان على العاقل ان يحصر تفكيره وكلامه بما يعود عليه بالنفع دنيا وآخرة ، سواءاً كان عن المحسوس أو غير المحسوس ، وهذا ماأراده بقوله : « العلم مقرون بالعمل ، أوضع العمل ماوقف على اللسان » ، ولم يتجاوزه الى الايمان ويظهر أثره في الأخلاق والأعمال . وصدق الله العظيم : « لاخير في كثير من نجواكم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس » .

العقل عند الامام :

العقل عند الامام أحد أسباب المعرفة ، كالوحي والحواس والتجربة ، ولكن الفرق كبير جداً بين الوحي من جهة وبين غيره من الأسباب من جهة أخرى ، فالوحي سبب للمعرفة الحقة في كل مايخبره به دون استثناء ، فاذا

أخبر عن أشياء الطبيعة ، أو عما وراءها ، وعما كان ويكون فخبره حق اليقين (١) أما التجربة والحواس فلا تتجاوز نطاق المادة المشار اليها بالحس ، وكذلك العقل له نطاق محدد لا يتعداه ، فهو يدرك ان الأثر لابد له من مؤثر ، وان التنظيم يحتاج الى منظم ، وان العدل حسن ، والظلم قبيح ، وان ماينفع فهو خير ، وما يضر فهو شر ثم ان العقل والحواس والتجربة تتعاون فيما يعود الى حياتنا

(١) قال بعض المؤلفين: اليقين مراتب ثلاث : علم اليقين وهو ان يحكم الانسان بوجود الشيء من خلال آثاره دون ان يراه رأي العين ، والثانية عين اليقين ، وهو ان يراه ويشاهده ، والثالثة حق اليقين ، وهو ان يمارسه ، مثال ذلك ان ترى ضوء النار من بعيد فهو العلم ، فما شاهدتها بالذات فهو العين ، وان أصابت جسمك فهو الحق . هذا بالنسبة الى غير الامام ، أما معرفة الامام فكلها حق اليقين . لذا قال : لو كشف الغطاء مازددت يقيناً .

اليومية ، وما الى ذاك من الاختراعات والاكتشافات ، هذه هي مهمة العقل ، وكفى . اذن هناك أشياء لايدركها العقل ، ولا الحواس (ولا تقع تحت التجربة ، ومع ذلك لاتفقد صحتها وقيمتها كحقيقة ثابتة في نفسها .

الامام والأخلاق :

ومن الحقائق التي نستفيدها من قول الامام ان الخير والشر ، والحسن والقبيح صفات موجودة حقيقة في نفس الشيء ، وان العقل يعبر بهذه الألفاظ عما هو ثابت ومتحقق لا كما يذهب اليه أصحاب النظريات الذاتية من ان المتكلم يعبر بلفظ الحسن والقبح ، والخير والشر عن ذات نفسه وعن شعوره نحو الأشياء من حب أو كراهية بحكم بيئته وتربيته ، فنظرية الامام في هذا الباب موضوعية عملية ، ويدل على هذه الحقيقة قوله : « يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال . . أعرف الحق تعرف أهله » .

ولا يتم هذا القول الا اذا كان الحق قائماً بذاته ومستقلا عن كل اعتبار .

لقد جعل الامام للعقل حداً اذا تعداه ارتطم بالجهل وخبط خبط عشواء بخاصة فيما يعود الى ذات الله وحقيقته قال : «كل مايتصور في الأوهام فالله تعالى على خلافه» أي ان تصور العقل يقف عند أصل الوجود ، أما تصور الذات على حقيقتها فتقصر عنه العقول .

الامام وكانت :

ويقرب من هذا القول ماذهب اليه «كانت» من ان العقل محفوف بالزمان والمكان ، ومحاط بالشهوات ، فيستحيل عليه ، والحال هذه ان يدرك وجود الله الذي لايحد بحد ، ولا يتصف بشيء من صفات عالمنا الذي نحن فيه ، فكانت يعترف بما يقول الامام من ان الله موجود وان للعقل حدوداً لايستطيع مجاوزتها دون ان يقع في

الأوهـــام والتناقضات ، ولكن الامام يرى ان وجود الله يعرف بالعقل دون ذاتـه وحقيقته ، ويقول «كانت» : بل يعرف وجود الله بالقلب ، أما العقل فلا يدرك أصل الوجود ولا حقيقة الذات .

ولا ندري أي شأن للقلب بالمسببات وأسبابها ، والعلل ومعلولاتها ، ان الامام يستدل بالنظـر العقلي على وجود الله لأن بديهة العقل لاتتصور تدبيراً بغير مدبر ، ومعلولا بلا علة ، وهذا أجنبي عن القلب واحساسه .

ومهما يكن ، فان الامام لايحصر سبب المعرفة بالوحي بل يضيف اليه التجربة والمشاهـدة والعقل ، على ان يبقى كل في دائرة اختصاصه .

استاذ الكل

لم يكن في عهـــد الرسول وخلفائه الراشدين مدارس ومعاهد للعلم ، فكان الصحابة ينتشرون في الأرض يعلمون الناس ماسمعوه من الرسول ، وما وعوه من القرآن ، وكانت معرفتهم محـدودة لاتتجاوز بعض الأحكام ، كالعبادات والفرائض ، وما الى ذلك .

أما أسرار القرآن العلمية ومعجزاته الغيبية ، أما علومه وفنونه واحاطته بكل شيء ، وسر ملائمته ومناسبته لكل زمان فلا يعلمها الا الله والراسخون في العلم ، وهم محمد وأهل بيته . أما غيرهم فلا يعرف شيئاً ، أو تنحصر خبرته بمعارف أهل زمانه ، كالعلم بأنساب القبائـــل والخيل ، والخرافات والعيافة والقيافة ، وتأويل الأحلام وحـــدي الابل ، وكي المرضى بالنار والحديد ، واذا كان لأحد

الصحابة معرفة تجدي نفعاً فمصدرها محمد وآل محمد ، والشواهد على هذه الحقيقة لايبلغها الاحصاء ، واليك بعضها على سبيل المثال :

كان عمر بن الخطاب يدخل ابن عباس مع الكبار من شيوخ بدر ، فاحتجوا على عمر ، وقالوا له : كيف تدخل معنا هذا الفتى ؟ ! فدعاهم عمر ذات يوم ، ودعا ابن عباس ، وسألهم عن تفسير بعض الآيات ، فسكت بعضهم ، وقال آخرون : لاندري . فأوضح لهم ابن عباس الحقيقة . فقال عمر : انه من قد علمتم (١) .

واذا افحم تلميذ أبي الحسن كبار الصحابه وشيوخ بدر فكيف بالمعلم الأكبر ؟ ! قيل لابن عباس : ابن علمك من علم ابن عمك علي ؟ فقال : نقطة من بحر . وهذه النقطة من بحر علي هي البحر المحيط ، فلقد كان المسلمون يسمون ابن عباس البحر ، ويسمونه الحبر ، وعن ابن

(١) ذخائر العقبى للحافظ الطبري ص ٢٢٨ طبعة ١٣٥٦ :

صالح قال : رأيت الناس اجتمعوا على باب ابن عباس حتى ضاق بهم الطريق ، كلهم طالب علم ، وحج ابن عباس مع معاوية فكان لمعاوية موكب ، وله موكب من طلاب العلم ، وروى البغدادي عن عطاء : مارأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس ، كان أصحاب القرآن عنده يسألونه ، وأصحاب النحو عنده يسألونه ، وأصحاب الشعر عنده يسألونه ، وأصحاب الفقه عنده يسألونه ، كلهم يصدر عن واد واسع .

وكل هذه العلوم التي أفاضها ابن عباس ان هي إلا نقطة صغيرة من بحر أبي الحسن الذي لايدرك مداه ، ولا ينتهي الى حد ، ولم يكن ابن عباس التلميذ الوحيد للامام ، فقد كان استاذاً للكل بعد النبي دون استثناء يستمدون العلوم من معينه ، ويحتجون بأقواله ، كما يحتجون بالقرآن ، فقد صح عن الرسول : « علي مع القرآن ،

والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » (١)

ونستنتج من الحديث الحقائق التالية :

١ ــ ان قول الله ومحمد وعلي واحد من حيث الحجة ووجوب الاتباع ، لقد دلت الآية ٧ من سورة الحشر :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

دلت على ان حديث الرسول بمنزلة القرآن ، ودل حديث « علي مع القرآن » على ان قول علي بمنزلة القرآن أيضاً ، والنتيجة الطبيعية لذلك ان علياً هو الوسيلة الى الله ، وحجته على الخلق ، وان الراد عليه راد على القرآن بالذات .

٢ ــ ان علياً عالم بحقائق القرآن ودقائقه ، وان عنده علوم القرآن بكاملها ، اذ لو كان جاهلا بها أو بشيء منها لم يكن أحدهما مع الآخر .

---

(١) « النص والاجتهاد » ص ٧٨ طبعة ١٩٥٦ نقلا عن كتاب معرفة الصحابة ص ١٢٤ ، من المستدرك ج ٣ .

والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » (١)

ونستنتج من الحديث الحقائق التالية :

١ ــ ان قول الله ومحمد وعلي واحد من حيث الحجة ووجوب الاتباع ، لقد دلت الآية ٧ من سورة الحشر :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

دلت على ان حديث الرسول بمنزلة القرآن ، ودل حديث « علي مع القرآن » على ان قول علي بمنزلة القرآن أيضاً ، والنتيجة الطبيعية لذلك ان علياً هو الوسيلة الى الله ، وحجته على الخلق ، وان الراد عليه راد على القرآن بالذات .

٢ ــ ان علياً عالم بحقائق القرآن ودقائقه ، وان عنده علوم القرآن بكاملها ، اذ لو كان جاهلا بها أو بشيء منها لم يكن أحدهما مع الآخر .

---

(١) « النص والاجتهاد » ص ٧٨ طبعة ١٩٥٦ نقلا عن كتاب معرفة الصحابة ص ١٢٤ ، من المستدرك ج ٣ .

٣ ــ ان علياً كالقرآن لايخطيء ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٤ ــ انه خالد بخلود القرآن ، وان هذا الخلود مستمر الى يوم يبعثون .

٥ ــ ان القرآن مفتقر الى علي ، كما ان علياً في حاجة الى القرآن ، لأن معنى التلازم بين شيئين هو افتقار كل الى الآخر ، فعلي يرجع الى القرآن كمصدر للعلم ، والقرآن يفتقر الى علي للبيـــان والتفسير ، لذا قال الامام : ذاك القرآن الصامت ، وأنا القرآن الناطق .

٦ ــ انه الفارق بين الحق والباطل ، ومن أجل هذا قال له النبي : لايبغضك مؤمن ، ولا يحبك منافق ، ومن أجل هذا أيضاً كان قسيم الجنة والنار ، أي بحبه يعرف المؤمنون الذين خلقت لهم الجنة ، وببغضه يعرف أهل النار من المنافقين .

وبكلمة واحدة ان الحديث الشريف يدل دلالة واضحة

ان علياً والقرآن سواء بسواء ، وان كل ماللكتاب من فضل وعظمة فهو لعلي ، لمكان التلازم والعلاقة بين الاثنين

ثم اذا صرفنا النظر عن حديث « علي مع القرآن » ورجعنا الى سيرة الامام منذ ولادته الى حين وفاته رأينا ان علياً قد أوقف حياته كلها من أجل القرآن ، تعلمه صغيراً من النبي ، وقاتل معه الجاحدين على تنزيله ، وحين خلافته قاتل الناكثين والقاسطين والمارقـين على تأويله ، وبذل أقصى مالديه من جهد ، لبث تعاليمه فى عهد الخلفاء الثلاثة ، اذن فالحديث يعبر عن شيء واقع ، وثابت في نفسه ، وينطق عما أعطاه الامام من ذات نفسه للقـرآن صغيراً وشاباً وكهلا .

وهذه حقيقة ناصعة لايتعامى عنها الا من عاند الحق ، وإلا من شذ عن المألوف ، وأنكر مارأته الأعين ، ولمسته الأيدي . قال الاستاذ علي الجندي عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

« أراد الله لعلي الخير ، وأراد لأمته الخير به ، فهد النهج الأمثل ، ووفقه الى ماهو أشبه به ، وأحجى وأفضل وكل ميسر لما خلق له » فكان كما قال الشعبي : مثل علي في هذه الأمة مثل المسيح بن مريم فى بني اسرائيـــل . وكما قال الحسن البصري : سهماً صائباً من مرامي الله على أعداء الله ... أعطى القرآن عزائمه وعلم مافيه وماعليه .

أما علي الحكيم فليس هناك بعد الأنبياء من أحق بهذا الوصف من أبي الحسنين ، ولو لم يكن علياً حكيماً لوجب أن يكون حكيماً ، فجميع طرائق الحكمة مفضية اليه ، وأسبابها مجتمعة لديه ، كان نقي الجوهر وضاء النفس صافي الروح ، لماح الخاطر ، يستشف الغيب من ستر رقيق ، وقد عزيت اليه نبوءات صادقة استرعت أنظار أتباعـه ، فقال له رجل : لقد أعطيت ياأمير المؤمنين علم الغيب ، فضحك ، وقال : « ليس هو علم غيب ، وانما هو تعلم

من ذي علم » (١) .

---

(١) هذه الكلمات اقتطفتها من تصدير طويـــل وقيم كتبه الاستاذ الجندي لكتاب « علي بن أبي طالب » لأحمد تيمور .

المغيبات

قال الامام : الكاهن كالساحر ، والساحر كالكافر ، والكافر في النار ، وكلنا يعرف القصة المشهورة : حين أراد المسير الى بعض أسفاره ، وقال له بعض أصحابه : ان سرت في هذا الوقت خشيت ان لاتظفر بمـــرادك ، فأجابه الامام : من صدقك بهذا القول فقد كذب القرآن ورأى ذات يوم منجماً ، فسأله منكراً : أتـدري مافي بطن هذه الدابة أذكر أو انثى ؟ ! من صدقك فقد كذب القرآن : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم مافي الأرحام ، وماتدري نفس ماتكسب غداً ، وماتدري نفس بأي أرض تموت . ان الله عليم خبير ـ لقمان ٣٤ »

وقال الامام جعفر الصادق : المنجم ملعون ، والكاهن ملعون ، والساحر ملعون .

وقال علماء الامامية : من صدق منجماً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد .

واطالوا الكلام في هذا الباب ، وشددوا النكير على من سلك غير طريق الحق والعلم واستعمل الغش والكذب والرياء والتدليس في معاملاته وأقواله وأفعاله ، وعللوا ذلك بأنه بدعة في الدين ، واخلال في النظام وافساد للاخلاق الانسانية ، واجمعوا على ان من عمل بالسحر يقتل ان كان مسلماً ، ويؤدب ان كان كافراً (١) .

والآن يتجه هذا السؤال : اذا كان السحر والكهانة والاخبار بالغيب محرماً عند علي وشيعته فكيف أخبر بحوادث تقع بعد زمانه ؟ ! فمن الجائز من الوجهة المنطقية ان يحدد العلماء وقت الكسوف والخسوف استناداً الى قياساتهم لدوران الأرض ، اما ان يتنبأ متنبيء بحدوث حريق في مكان معين بعد عشرات السنين ، أو قيام ثورة

---

(١) كتاب الجواهر باب الخلود .

في بلد من البلدان ، أو بأنه سيخلق الله من صلب فلان حاكماً أو عالماً ، أما هذا التنبؤ وما اليه مما لاتناله الخبرة العلمية فمستحيل .

ويمكننا ان نستخرج الجواب عن هذا السؤال من قول الامام : « من أفتى بغير علم لعنته الأرض والسماء . .

لاتقل مالاتعلم ، بل لاتقل كل مالاتعلم . . مامن حركة إلا وتحتاج الى علم » . وما الى ذاك ، ولو جمعت أقواله في هذا الباب لجاءت في كتاب ، وما كان الامام لينهي عن خلق ويأتي مثله . اذن لابد ان يكون اخباره عما يقع في المستقبل تعلماً عن ذي علم ، كما قدمنا في الفصل السابق حين أجاب من قال له : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب .

وذو العلم الذي عناه الامام ، وأخذ عنه هو النبي بالذات ، فكل ما أخبر به مما لايمكن معرفته بالنهج العلمي فقد تعلمه عن الرسول ، وتلقاه الرسول وحياً من الله عز

وجل « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ـالجنـ ٢٦ ، والرسول بدوره يطلع من ارتضى من ولي حسب ماتستدعيه المصلحة .

وقد أخبر النبي بمغيبات كثيرة تحقق قسم منها قبل زماننا ، وقسم تحقق في هـذا الزمان ، فمن القسم الأول قوله : ان المسلمين بعده يحكمون ويفتحون كنوز كسرى وقيصر ، وقوله لأم الفضل حين ولدت عبد الله بن عباس اذهبي بأبي الخلفاء ، ومنها قوله لعلي : ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، وانه لايموت حتى تخضب لحيته من هامته ، ومنها اشارته الى عائشة بأنها صاحبة الجمـــل ، وينبحها كلاب حوأب ، ومنهـا قوله لأبي ذر : كيف بك اذا أخرجوك من مكانك هذا ، مشيراً الى قصته مع عثمان ونفيه الى الربذة ، ومنها قوله يوم بدر لعمه العباس أين المـــال الذي استودعته زوجتك ام الفضـل ، وكان العباس ادعى انه لامال عنده ، ومنها قوله لابنته فاطمة

انك أول أهلي لحاقاً بي ، فكان كما قال ، ومنها قوله لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وآخر زادك من الدنيا ضياح من لبن ، فقتله جيش معاوية يوم صفين بعد ان شرب اللبن ، ومنها أخباره عن قتل ذي الثدية رئيس الخوارج ، فقتل يوم النهروان ، ومنها قوله للزبير : ستقاتل علياً ، وأنت له ظالم ، فخرج عليه يوم الجمل ، ومنها ماأخبر به عن بني مروان اذا بلغوا ثلاثين رجل اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباده خولا ، ودينه دغلا ، ومنها ان كسرى ملك الفرس أرسل رسله ليأتوه بالنبي حياً أو ميتاً ، فلما وصلوا اليه أخبرهم بأن كسرى قتله ولده شيرويه ، فجاء الحديث موافقاً ، ومنها أخباره عن وقعة الحرة ، ومنها قوله : ان زيد بن صوحان احد الصحابة سيسبق منه عضو الى الجنة ، فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله ، ومنها إشارته وتلويحاته المتكررة الى ماحدث

لأهل بيته من بعده (١) وما الى هذه مما لايحصى عديدها وهي مذكورة في أبواب شتى من كتب التفسير والحديث والتاريخ والسيرة بخاصة صحيح البخاري ومسلم .

ومن القسم الثاني ، أي المغيبات التي تحققت في هذا العصر ماجاء عن النبي في صحيح البخاري الجـــزء التاسع صفحة ٧٣ ، طبعة محمد علي صبيح : يوشك ان ينحسر الفرات عن كنز من ذهب » . اشارة الى البترول .

وفي الكتاب المذكور صفحة ٦١ : « سيتقارب الزمان وينقص العمل » اشارة الى سرعة المواصلات ، والاستغناء

---

(١) قال الشيخ العبدي مفتي الموصل في كتاب « النواة » ص ١٠٩ ان حديث الثقلين الذي رواه مسلم والترمذي ، وفيه التكرار « اذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » لعل في هذا التأكيد اشارة الى ماحدث بعده لأهل بيته مما كان وصمة على المسلمين ، وطعنة في صميم الاسلام نجلاء ماانفك يسيل دمها طرياً على مر الأيام وكر العصور .

بالآلات الفنية عن اليد العاملة :

وفي مسند أحمـد ج ١٣ ص ١٧٣ طبعة ١٩٥٣ : « تتقارب الأسواق ، وتتقارب الأزمان » ، ومن أبرز المظاهر في هذا العصر تصدير الانتاج الى جميع الأسواق بأمد قصير .

وفي كتاب « مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ، للشيخ أحمد الصديق الغماري :

روى احمد بن حنبل فى مسنده عن النبي : « لا تقوم الساعة حتى تكلم الرجل عذبة سوطه ، وشراك نعله » . اشارة الى الراديو الصغير ، وما اليه من آلات الالتقاط ، او الارسال التي يحملها معه الانسان ، كما يحمل علبة الدخان

وجاء في الكتاب المذكور : « يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر » ، اشارة الى ارباب الصحف المأجورة الذين يعيشون على الاكاذيب والشتائم .

وأعجب من ذلك كله قول النبي : « سيرى الناس

اموراً يتفاقم شأنها في نفوسهم يتساءلون بينهم : هل كان النبي ذكر ذلك ؟ » . رواه احمـد بن حنبل فى كتاب المسند ، وقد مضى على وفاة ابن حنبل ١١٣٨ .

ولم يكتف النبي بالأخبار عن البترول فى بلاد العرب بل أخبر ان الذين يستخرجونه ويصفونه حتى يصبح حاضراً وصالحاً للاستعمال هم المستعمرون أشرار الناس وأراذلهم : فقد جاء فى مسند ابن حنبـل : « ستكون معادن يحضرها أشرار الناس » ، وفي حديث آخر : « أراذل الناس » :

وفي كتاب « الشجرة المباركة » للشيخ علي الـيزدي حديث طويل نقله عن تفسير علي بن ابراهيم من علماء القرن الثالث الهجري جاء فيه عن النبي : « تتقارب الأسواق ، ويظهر الربا ، وتتعامل الناس بالغيبة والرشا ، وينفقه أقوام لغير الله ، ويكثر أولاد الزنا ، ويتغنون بالقرآن » .

ولم يبق شيء من هذه الا تحقق هذا العصر ، ولكن الذي يبعث على الدهشة أكثر من أي شيء قوله ، « يتعامل

الناس بالغيبة » بفتح الغين ، وهو اخبار عما يجري الآن بين التجار ، يبرق تاجر في الشرق لآخر في الغرب ، فتتم الصفقة دون ان يشاهد أحدهما الآخر ودون ان يحصل بينهم السوم والأخذ والرد .

وفي الكتاب المذكور عن الامام « ستخـــرج الأرض بركاتها ، وتؤكل ثمرة الصيف في الشتاء وبالعكس وتحمل الشجرة في كل سنة مرتين ، ويزرع الرجل الحنطة والشعير فينتج الصاع مئة . . . وتكون السنة كالشهر ، والشهر كالاسبوع والاسبوع كاليوم ، واليوم كالساعة » .

واذا أخبر النبي أصحابه بهذه المغيبات فأولى ان يطلع علياً على أمثالها ونظائرها ، وأي انسان أحق بعلم النبي من علي ، وهو منه بمنزلة الرأس من الجسد ، كما قدمنا .

اذن جميع اخباراته بالغيب تستند الى الرسول ، وتنتهي اليه ، وليس للامام إلا الرواية ، فمن أنكر عليه الأخبار بالغيب فانما ينكر على الرسول من حيث يريد أولا يريد .

ومن الطريف ان بعض من أنكر واستكثر إن يخبر الامام عن الرسول يؤمن ويعتقد بأن شقا وسطيحا (١) ، كانا يخبران الناس بالغيب ، وبظهور النبي قبل زمانه .

قال الرازي في كتابه الكبير عنـــد تفسير آية « عالم الغيب » : انه كان في بغداد كاهنة في عهد السلطان سنجر ابن ملك شاه تخبر بالغيب ، فيأتي على وفق كلامها ، وانه رأى كباراً من المحققين في عـــلم الكلام والحكمة يؤمنون بأقوالها ، وان « أبو البركات » بالغ في كتاب « المعتبر » في شرح حالها ، وانه قد تفحص عنها ثلاثين سنة حتى تيقن انها كانت تخبر بالمغيبات خبراً مطابقاً .

امرأة لايعرف لها أصل ولا حقيقة تقول الغيب فيصدقها العلماء المحققون . . بل حتى الرازي المشكك الكبير يقول :

---

(١) قال صاحب العقد الفريد في الجزء الأول : ان سطيحا كان يخـــبر الانسان بنيته قبل أن يتكلم ، وهكذا قال كثير من المؤرخين وأصحاب السير عن سطيح وشق .

« ليس علم الغيب مختصاً بالأولياء ، بل قد يوجد في السحرة أيضاً . . . » وبعد ، فأي غرابة ان يحدث الامام بالغيب عن النبي عن الله سبحانه ؟ !

رب قائل بأن ماقدمته من الأدلة انما يقنع ، أو يجب أن يقتنع به المسلم الذي يؤمن بالله ونزول الوحي على محمد لأن كل ماذكرته مبني على أساس التسليم بالقرآن واصول الاسلام ، أما الذي لايؤمن بالله أصلا ، أو يؤمن ، ولا يعترف بنبوة محمد فلا تلزمه الحجة ، وبالتالي لايجب عليه التصديق بشيء مما قلت .

وأجيب بأني لا اطلب من يشكك بمغيبات الامام ان يغير دينه وعقيدته ، كي يصدق ماأقول ، ولكني أخاطب عقله ووجدانه ، اذا كان على شيء من التميز والانصاف واوجه اليه هذا السؤال : اذا أخبرك مخبر بوقوع حادثة ما وصدق قوله مئة بالمئة ، فماذا تفسر هذا الصدق ، مع العلم بأن تلك الحادثة لاتمت الى التنبؤات العلمية وخبرة

الانسان بسبب ؟ ! : بما تفسر المغيبات التي نقلناها عن الرسول وعلي ؟ والى أي شيء تسند قول الامام : « ان في الطالقان كنوزاً ليست من ذهب ولا من فضة » اشارة الى بترول ايران ، نقل هذا القول عن الامام أبو الغنائم الكوفي في كتاب الفتن ، وقد مضى على وفاته مئات السنين

بماذا تفسر قول الامام جعفر الصادق حفيد الامام علي : أنه يأتي على الناس زمان يرى ويسمع من في المشرق من في المغرب ، وكل قوم يسمعون الصوت بلغتهم ، وان العرب تخرج من سلطان الأجانب ، وتملك نفسها بنفسها وحينئذ تخلع أعنتها ، وانه لايبقى صنف من الناس إلا ويحكم الناس (١) .

---

(١) صفحة ١٣٥ و١٦٣ و١٦٨ من المجلد الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار طبعة سنة ١٢٣٣ هجرية للعلامة المجلسي ، وقد مضى على وفاته ٢٧٩ ، هذا مع العلم بأن المجلسي نقل عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي المتوفي ٤٦٠ ، وكتاب الارشاد —

نطق الامام بهذه الحقائق منذ أكثر من ألف ومئتي سنة ، ودونت في الكتب منذ ألف سنة أو أكثر ، وقد تحققت بكاملها ، ونحن الآن نراها ونعيش معها ، فنسمع أهل الغرب يخاطبون أهل الشرق بواسطة الراديو ، ويوجهون الاذاعات الى كل قوم بلغتهم ، وعما قريب نشاهد الأوربيون والأميركيين بالتلفزيون بعد ان وضع العلماء التصميم لأن يكون البعيد فيه كالقريب تماماً كالراديو . وسادت الديموقراطية في أكثر الشعوب ، وأجهزت على ارستقراطية الأنساب والأموال ، وحكم الناس كل فئة من الناس من نكروما الى كاسترو الى كل جنس ولون . وما أوشك ان يسير العرب في طريق الاستقلال حتى خلعوا اللجام ، وشتم بعضهم بعضاً ، فكأن مصيبة الاستعمار

– للشيخ المفيد المتوفي ٤١٣ ، وعن كتاب المعاني للصدوق المتوفي ٣٨١ ، وهذه الكتب مطبوعة ومتداولة ، وتاريخ تدوين هذه الأخبار في كتب الامامية يرجع الى أكثر من الف سنة .

كانت تجمع كلمتهم ، فلما استقلوا أو كادوا ألقى كل عربي بأسه على رأس أخيه .

هذه صورة طبق الأصل عبر بها الامام عما سيقع قبل عشرات الأجيال ، ومحال ان يعلم بحدوثها قبل الأوان إلا علام الغيوب ، ومن ارتضى من عباده الصالحين .

ومرة ثانية نعيد القول بأن الامام لايعلم الغيب ، بل يخبر به عن النبي عن الله ، والفرق بعيد جداً بين العلم بالغيب ، وبين الاخبار به ، وان كان الاخبار يستتبع العلم ، ولكنه علم عن رواية لاعن رأي .

حلم الانسانية

ان للانسانية حلماً تنشده منذ وجدت فوق الارض ، وكل انسان يود ان يتحقق هذا الحلم مهما كان الثمن ، ولكنه لايجد السبيل اليه ، أو يظنه محال الوقوع ، أما أهل البيت فقد أكدوا بلسان الجزم واليقين انه سيتحقق لامحالة

ونجد وصف هذا الحلم في البشارة التالية :

جاء في كتاب الشجرة المباركة ، والمجلد الثاني عشر من كتاب بحار الأنوار عن النبي وأهل بيته :

« لاتقوم الساعة حتى لايقسم ميراث ، ولا يفرح بغنيمة ولا يظلم أحدا أحداً ، ولا يخاف شيء من شيء ، ولايراق محجمة دم ، وحتى تستوي الأرزاق بين الناس ، ويقتسمون بالسوية ، ويكون الجميع على أحسن حال ، وفي أمن وأمان ، ويرعى الذئب مع الغنم ، وتلعب الصبيان بالوحوش والسباع ، وتزبد الخيرات حتى تصبح كالتراب فاذا سافر مسافر الى مكان بعيد لايصحب معه زاداً ولا مالا ، فالسماء تنزل بركاتها ، والأرض تخرج كنوزها وطيباتها ، ويستغني الفقير ، ولا يعلو بعض الناس على بعض ، وتنزع الحمة من الهوام ـ البرغث والذباب ـ والسم من الحشرات » .

لايقسم ميراث ، لأن الانتاج كالتراب ، فلا داعي الى الميراث والتوريث ، ولا تراق الدماء ، لأنه لاخصومة

على حطام مادامت القسمة بالسوية ، والناس في كفاية ، وتنزل السماء بركاتها ، وتخرج الأرض خيراتها ، لأن العلم سيعم الاقطار جميعاً ، ولا يختص ببلد دون بلد ، وأينما وجد العلم وجدت الخيرات والبركات ، وستنزع الحمة من الهوام ، والسم من الحشرات ، لأن العلم سيغير طبيعة الحشرات والحيوانات ، بل وطبيعة الانسان أيضاً ، وسيتجه العلم كله للخير والبناء لاللهدم والفناء ، ويحقق للانسانية أحلامها وأهدافها ، ولو قسنا الحياة في هذا العصر الى ماكانت عليه قبل قرن لوجدنا الفرق بعيداً شاسعاً ، ولا سر لهذا التطور إلا تقدم العلم . وما هذه المفاجآت والتغيرات التي تطرأ على أفكارنا وحياتنا الا نتيجة الاكتشافات والاختراعات المذهلة ، والآتي أعظم بكثير من الماضي ، وكلما أسرع العلم في سيره أسرعنا معه الى الحياة المنشودة .

ان الشواهد تدل على ان الطبيعة ستكون أطوع للانسان من بنانه ، واذا أضفنا الى ذلك رغبة الناس في التعايش

السلمي ، وفى حياة أفضل ، وان لاتكون حرب بعد اليوم كانت النتيجة الحتمية ان كل شيء سيتغير ، وان حـلم الانسانية سيتحقق تماماً كما أخبر به النبي وأهل بيته . وكل آت قريب .

علي في بعض خصائصه

لايستطيع الانسان ، أي انسان ، ان يتجرد عن ذاته وانطباعاته ، لايستطيع ان يسند معلوماته وتصوراته إلى الواقع بعيدة عن شخصه ومعطياته مهما حاول واجتهد ، الا اذا استطاع ان يوجد علماً بدون عالم ، ورسماً بدون رسام ، وهو مستحيل كاستحالة وجود القيام بلا قائم ، والكتابة بلا كاتب ،

وعلى هذا فاذا حصلت لنا المعرفة بشيء ، وتحدثنا عنها ، فانما نتحدث عن وعينا ، وعن الصورة التي تمثلناها لذلك الشيء ، وقد تأتي مطابقة ، وقد تكون مخالفة ، حيث لاتلازم بين الواقع والشعور الذي يعكسه ، فالواقع مستقل عن الفكر كما ان الفكر لايستدعي معرفة الواقع . وهذا المبدأ يطرد في الجميع الا في الانبياء الذين تلقوا

الوحي من الله ، والا في الأولياء الذين أحاطوا علماً بكتاب الله ، وأخذوا عن الأنبياء بلا واسطة ، كالامام علي ، فان علمه عين الواقع لاينفك عنه بحال . ومن هنا قال : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » حيث لاجديد يوجب الزيادة ، فالذي يحج الى مكة المكرمة لايزداد معرفة بأصل وجودها بعد أن يصل اليها ، وهكذا علوم الامام تمثل الحقيقة تمثيلا صحيحاً بعيداً كل البعد عن الخطأ والالتباس .

والانسان الذي يعتمد كتاب الله ، وما تواتر عن النبي فعلمه عن الحق واليقين ، وعلى هذا الأساس نتكلم في هذا الفصل عن صفات الامام وخصائصه ، فما دل عليه الكتاب والحديث المروي بطريق السنة والشيعة أثبتناه ، ولا شأن لنا بغيره .

أخو الرسول

قال ابن حجر في كتاب الصواعق المحرقة ص ١٢٢ :

طبعة ١٣٧٥ : قال النبي : خير اخوتي علي ، وخير اعمامي حمزة . وفي صفحة ١٢٠ انه قال لعلي : أنت أخي فى الدنيا والآخرة . . . علي مني وأنا من علي . وقال جماعة من المفسرين : ان علياً هو الشاهد في الآية ١٧ من سورة هود أفمن كان على بينة من ربه ، ويتلوه شاهد منه » .

قال الرازي : في تفسير الشاهد وجوه ، ثالثها انه علي والمراد فشريفه بأنه بعض من محمد ، وقال السيوطي في الدر المنثور ، والطبري في تفسيره : رسول الله على بينة من ربه ، وعلي شاهد منه (١) .

صاحب النجوى

« يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر ـ المجادلة ١٢ »

أجمع المفسرون السنة والشيعة على ان هذه الآية لم

---

(١) كتاب دلائل الصدق ص ١٦٠ ج ٣ طبعة ١٩٥٣ .

يعمل بها أحد الا الامام ، وذلك ان المسلمين أكثروا السؤال على الرسول حتى شقوا عليه ، فأمرهم الله بهذه الآية ان يتصدقوا قبل أن يسألوا ، فأحجموا الا الامام تصدق وسأل ثم نسخت الآية ، وقال الامام : كنت اذا سألت النبي أجابني ، واذا سكت ابتدأني .

سابق الامة

« والسابقون السابقون أولئك المقربون ـ الواقعة ١٠ »
قال الفضل بن رزبهان ، وهو من كبار العلماء عند السنة في كتاب « ابطال الباطل » : « جاء في رواية أهل السنة سباقو الامم ثلاثة مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار ، وعلي بن أبي طالب ، ولاشك ان علياً سابق في الاسلام وصاحب السابقة والفضائل التي لاتخفى » .

وجاء في الجمع بين الصحاح الستة إن طلحة بن شيبة قال مفتخراً . انا أولى بالبيت لأن المفتاح بيدي ، وقال

العباس : أنا أولى ، انا صاحب السقاية . فقال علي : أنا أول الناس اسلاماً ، وأكثرهم جهاداً . فنزلت هذه الآية لبيان أفضلية الامام على الجميع : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله ، والله لايهدي القوم الفاسقين ـ التوبة ٢٠ » :

صاحب الاذن الواعية

« وتعيها اذن واعية ـ الحاقة ١٢ » . قال الفضل بن رزبهان في كتاب ابطال الباطل : « روى المفسرون ـ السنة ـ انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله لعلي : سألت الله ان يجعلها اذنك . قال علي ، فما نسيت بعد هذا شيئاً ، وهذا يدل على علمه وحفظه وفضيلته » وفي كتاب ذخائر العقبى ص ٦١ طبعة ١٣٥٦ هـ : قال الرسول للامام : ياعلي ماسألت الله عز وجل شيئاً من الخير الا سألت لك

مثله ، ولا استعذت الله من الشر إلا استعذت لك مثله .

مكتوب على العرش

« هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ـ الأنفال ٦٣ » ، جاء في كتاب دلائل الصدق عن السيوطي فى الدر المنثور عن أبي هريرة انه مكتوب على العرش لا إله إلا الله أنا وحدي لاشريك لي محمد عبدي ورسولي أيدته بعلي .

باذل الأموال سراً وعلانية

« الذين ينفقون أموالهم بالليـــل والنهار سراً وعلانية البقرة ٣٧٥ » . ذكر المفسرون من أهل السنة ان الآية نزلت في علي ، كما قال الفضل بن رزبهان ، وقال المذكور ان الآية ١٨ من سورة السجدة : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون » : ان المراد بالمؤمنين علي .

وفي كتاب ذخائر العقبى لأحمـــد الطبري ان هاتين

الآيتين « أفمن شرح الله صدره للاسلام » و « أفمن وعدناه وعدا حسناً فهو لاقيه » نزلتا بعلي وحمزة ، وان معنى قوله تعالى « سيجعل لهم الرحمن ودا » معنـــاه انه لايبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته . أخرجه الحافظ السلعي .

وارث الكتاب

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفيناه من عبادنا ـ فاطر ٣٢ » . قال الفضل : علي من جملة ورثة الكتاب ، لأنه عالم بحقائق الكتاب وهذا يدل على علمه ووفور توغله في معرفة الكتاب .

هادي القوم

« انما أنت منذر ولكل قوم هـــاد ـ الرعـــد ٨ » . قال النبي (ص) أنا المنذر ، وعلي ، وبك ياعلي يهتدي المهتدون .

وجاء في كتاب « دلائل الدصق » : نقل هذا الحديث بعينه صاحب كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ .

وذكر السيوطي في الدر المنثور أربعـــة أحاديث في نزول الآية بعلي :

كلكم مسؤول عن ولاية علي

« وقفوهم انهـــم مسؤولون ـ الصافات ٢٤ » . قال ابن حجر في الصواعق في الآية الرابعة من الآيات النازلة في أهـل البيت : أخرج الديلمي عن أبي سعيد ان النبي قال : وقفوهم انهم مسؤولون عن ولاية علي .

حسد الناس

« أم يحسدون الناس على ماآتاهم ـ النساء ٥٣ » . قال ابن حجر في الصواعق : أخرج أبو الحسن المغازلي عن الامام الباقر انه قال في هذه الآية نحن الناس والله .

مولى المسلمين

« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ـ المائدة ٥٨ » . في جمع التفاسير وفي الصحاح الستة انها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة . بمحضر من الصحابة أما آية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » وآية « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى » فظهورهما بعلي وأولاده يغنينا عن الاستشهاد بالروايات والأقوال ، كما ان هل أتى ، ويطعمون الطعام على حبه يعرفها الجميع (١) .

وهذه الآيات جزء من كل ، وقليل من كثير فقد

---

(١) لم ابسط الكلام هنا فيما دل من العقل والنقل على فرض ولاية الامام على كل من والى الرسول الأعظم ، لأني تعرضت لذلك في كتابي مع الشيعة الامامية وأهل البيت .

جاء في كتاب الصواعق المحرقة نقلا عن ابن عباس ص ١٢٥ طبعة ١٣٧٥ هـ « ان مامن آية في القرآن الا وعلي أميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان ، وما ذكر علياً إلا بخير ، وان ابن عساكر قال : مانزل في أحد من كتاب الله تعالى مانزل في علي ، ولقد بلغت الآيات فيه ثلاثمئة آية » .

ومن أراد التوسع في هذا الباب ، والاطلاع على ما جاء في القرآن بحق علي من طرق السنة فليرجع الى المجلد الثاني من كتاب دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر ، فقد ذكر الآيات ، واسند أقواله الى صحاح السنة وكتبهم المعتبرة ، وبلغ هذا المجلد ٤٠٠ صفحة . ولو افترضنا انه لم تنزل آية واحدة في علي بالخصوص فان كل مافي القرآن من ثناء على عامل بخير من أي نوع كان فانه يشمل علياً ، ويدل عليه صراحة لأنه السباق الى جميع المكرمات . ولقد أثار دهشتي ظاهرة فريدة في بابها

فاجأتني وأنا أبحث وأنقب فى مصادر هذه الصفحات ، وهي ان ابن حجر صاحب الصواعق ، وكثير غيره من شيوخ السنة مع اعترافهم بفضائل علي واعلانها فضيلة فضيلة ومنقبة منقبة يتحاملون على شيعة الامام بما فيهم الامامية ، ويعدونهم من أهل البدع والزيغ ، ونقدم مثالا واحداً من هذه التحامل ، لأن المقام لايتسع للمزيد .

قال الفضل بن رزبهان في كتاب « ابطال الباطل » : كل ماذكره الشيعة من الفضائل والمناقب لمولانا علي بن أبي طالب فنحن لاننكره ، لأن فضائل أهل البيت لاتحصى ولا ينكرها الا منكر نور الشمس والقمر ، ولكنه في نفس الكتاب المذكور قال : ان كتب الشيعة من موضوعات يهودي كان يريد تخريب بناء الاسلام ، فعملها وجعلها وديعة عند الامام جعفر الصادق ، فلما توفي حسب الناس انها كلامه . . .

كنا نظن إن مبدأ « اكذب ، واكذب ، ثم اكذب

فلا بد ان نجد من يصدقك » مبدأ حديث من مخترعات الغرب والاستعمار ، واذا به قديم ، وربما نقله الغربيون من الشرق عن ابن رزبهان وأمثاله فيما نقلوا من فلسفات وحضارات . . .

ان الشيعة اتصلوا بالامام جعفـــر الصادق مباشرة ، ونقلوا عنه مشافهة ، وكل راوٍ من رواتهم يقول : سألت الامام وحدثني الامام ، ولم يدع واحد من الشيعة انه وجد عند الصادق بعـد وفاته كتباً أو أوراقاً له ولا لغيره ، وهذه كتب الشيعة في الحديث والفقه والتفسير بمنظر لكل بصير .

قال المرتزقة هذا القول منذ مئات السنين لغاية الكيد والدس ، ونقله أحمد أمين وأضرابه من قبل جهـلا أو تحاملا ، ونقله من بعد عن هذا « الأمين » الدكتور خليل الجر والأب حنـا الفاخوري اللبنانيـان اللذان يعيشان في عصر الفضاء والسماء ، نقلا هذا الدس والكذب في كتاب

تاريخ الفلسفة العربية ، الذي بلغ أكثر من ٩٠٠ صفحة في مجلدين (١) :

وغريبة الغرائب ان كل شيء في الدنيا قد تغير إلا الكذب على الشيعة والافتراء على مذهب التشيع . منذ زمن مضى وانقضى كتب شبخ سوء أو فقيه شر ان الشيعة بما

---

(١) في هذا الكتاب أخطاء عدا الافتراء على الشيعة منها مافي ص٣١ ج ١ ان « للاسلام ثلاثة أسس هي القرآن والسنة والحديث » مع ان المعروف عند علماء المسلمين ان السنة والحديث شيء واحد، ومنها مافي ص٨٤ ج ١ « الكلي مايقال أولايقال موضوع كلي ، والجزئي مايقال أولايقال على موضوع كلي » . وهذا أشبه بقول القائل بأن في بطن هذه الدابة ذكراً أولاذكراً . . ان تعريف الكلي عند الفلاسفة وأهل المنطق هو مايصدق على الكثرة بعكس الجزئي الذي لايصدق الا على الواحد ، والمؤلفان جمعا بين تعريف الكلي والجزئي ، وعرفا به الكلي ، ثم عرفا به الجزئي .

فيهم الامامية يغالون بعلي ، وانهم أخذوا دينهـــم عن ابن سبأ اليهودي ، رمى هذا المفتري رميته ومضى ، ولكن بعد ان شق طريق الضلال والتضليل ،

واليك ملخص القصة لهذا الافتراء ، والسبب الباعث عليه :

كان الشيعة يثورون على حكام الجور اخلاصاً لدينهم وأمتهم ، وكان هؤلاء ينعتوهم بالزندقة والمروق من الدين لأنهم لايدينون لهم بالولاء تماماً كما يتهم بعض حكام هذا العصر القوى التحررية بالشغب والتخريب ، واذا وجدت السلطات المعتدية في عصر النور صحفاً مأجورة تساندها ، وتنعت الحزب المعارض بأقبح النعوت تزلفـــاً وطمعاً ، فبالأحرى ان تجد في عصر الظلمات من يضع لهـا الكتب والمؤلفات في تكفير الشيعة . هكذا فعلوا تماماً كما يفعلون اليوم .

لقد اشترى السفاكون من أرباب الأقلام دينهم وضمائرهم

ليتقولوا على الأبرياء الأقاويل ، ويعلم كل من البائع والمشتري انه مفتر كذاب ، وجاء المتأخر فرأى الكلمة المطبوعة « للسلف الصالح » فقدسها وركع لها وسجد دون تمحيص وتحقيق ، وأخذ يرددها فكرة واسلوباً ، بل نقلها بالحرف الواحد ، كأنها وحي منزل .

ان العالم المنصف اذا تكلم عما تدين به طائفة من الطوائف اعتمد على الكتب المعتبرة عندها ، وما ثبت من مذهبها ، أما النقل عن خصومها ، وبخاصة خصوم العقيدة والمذهب فهو تماماً كالحكم على المدعى عليه بمجرد إقامة الدعوى ، وقبل الاستماع الى الشهود والبينات .

ومن الصدف اني كلما قرأت افتراء على الشيعة تذكرت كلمة لسيبويه : اجتمع هذا النحوي الشهير بنفر من نحاة الكوفة ، فناظروه في مسائل نحوية ، وطال بينه وبينهم الجدال والنقاش ، ولكن على غير طائل ، فسأله سائل عن سبب عجزه عن اقناعهم فقال :

« أخطئهم على مذهب العرب ، ويخطئوني على مذهبهم »
أي تكلم هو على مقاييس منطقية ، وتكلموا على غير
أساس .

الاناء ينضح بما فيه

كان الشيخ نصر الله بن مجلي من العلماء المعروفين بالامانة والصدق عند أهل السنة ، وقد نقل ابن خلكان الشافعي صاحب كتاب « وفيات الأعيان » ان هذا الشيخ الجليل رأى في منامه الامام علياً ، فقال له :

ياأمير المؤمنين تفتحون مكة ، فتقولون من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يستم على ولدك الحسين يوم الطف مأتم ؟ ! .

فقال له الامام : أما سمعت أبيات صبغي في هذا ؟

فقال الشيخ : لا .

فقال الامام : اسمعها منه .

فاستيقظ الشيخ ، وبادر مسرعاً الى دار ابن صبغي

الشاعر المعروف بحيص بيص (١) ، وأخبره بالرؤيا ، فشهق وأجهش بالبكاء ، وحلف بالله انه نظمها هذه الليلة ، ولم تخرج من فمه الى أحد ، ثم انشد هذه الأبيات :

ملكنا فكان العفو منا سجية
فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما
غدوناعن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقد نضح بيت علي بما فيه من القداسة والعلم والعفة والزهد ، نضح باستشهاد الحسين ، وعبادة زين العابدين

---

(١) رأى هذا الشاعر الناس في ذات يوم في حركة مزعجة فقال : ماللنـــاس فى حيص بيص ، فغلب عليه هذا اللقب ، وكان فقيهاً وشاعراً معروفاً ، له رسائل فصيحة بليغة ، وكان من أعرف الناس بأشعار العرب ، توفي سنة ٥٧٤ هـ .

وعلوم الباقـــر والصادق ونضح بيت خصومـه بالخمور والفجور والغدر وسفك الدماء . قال الشاعر أبو فراس يقابل بين أهل البيت ومناوئيهم :

لايغضبون لغير الله ان غضبوا
ولايضيعون حكم الله ان حكموا
تبدو التلاوة من أبياتهم أبداً
ومن بيوتـــكم الأوتار والنغم

* * *

مافي منازلهم للخمـــر معتصر
ولا بيوتهـــم للشر معتصم
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم
ولا يُرى لهم قرد ، له حشم
الركن والبيت والأستار منزلهم
وزمزم والصفا والحجر والحرم

تقاضى في الجاهلية عبد المطلب جد علي ، وحرب بن أمية جد معاوية الى نفيل بن عدي فقضى لجد علي ، وقال

لجد معاوية :

أبوك معاهر وأبوه عف وذادالفيل عن بلد الحرام

وقد ورث كل ابن وحفيد نصيب من ينتمي اليه ، ويتقرب به . قال الاستاذ جورج جرداق في الرابع من كتاب « الامام علي » .

« ان أبرز الأمويين تمثيلا لخصائص أمية هو معاوية ابن أبي سفيان ، وأول مايطالعنا من صفاته انه لم يكن على شيء من الانسانية والاسلام » .

أما بعده عن الاسلام فقد شهد هو بنفسه على نفسه . رآه أبو الدرداء يشرب في آنية الذهب والفضة ، فقال له يامعاوية : سمعت رسول الله يقول : ان الشارب فيهما لتجرجر فى جوفه نار جهنم ،

فقال معاوية : أما أنا فلا أرى بذلك بأساً .

ولا يختلف هذا القول عن قول عثمان ، يقول الرسول الأعظم : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي

لهجة أصدق من أبي ذر » . ويقول عنه عثمان : « أشيروا عليّ في هذا الكذاب ، أما ان أضربه أو أحبسه أو أقتله » .

ومن قرأ تاريخ الأمويين يجدهم جميعاً من معدن واحد لايختلف أحدهم عن الآخر إلا في الاسلوب والمظهر ، حاشا عمر بن عبد العزيز . معاوية قتل الحسن سبط الرسول ويزيد ابنه قتل الحسين سبط الرسول ، فالأب والابن قتلا ريحانتي النبي وسيدي شباب أهل الجنة ، ولكن ذاك قتل سراً بالسم ، وهذا قتل جهراً بالسيف ، وهكذا الأشرار في كل عصر يختلفون في المظهر ، ويتحدون فى الجوهر .

أما براءة الانسانية من معاوية وأعماله فقد شهد هو أيضاً على نفسه بأنه لم ينصف ولم يعدل ، قال المغيرة بن شعبة .

قلت لمعاوية ، وقد خلوت به : انك قد بلغت سناً وقد كبرت ، فلو أظهرت عدلا ، وبسطت خيراً مما يبقى لك ذكره وثوابه ، فقال معاوية : هيهات هيهات ، أي

ذكر أرجو بقاؤه ؟ ! ملك أبو بكر فعدل ، فلما هلك هلك ذكره ، وملك عمر عشر سنين ، فاجتهد وشمر ، فما ان هلك حتى هلك ذكره ، وان ابن أبي كبشه - يعني محمداً ص - ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد ان لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، فأي عمل يبقى وأي ذكر يدوم ، لا أباً لك .

ويشهد على براءة الانسانية منه قوله ، بعد ان دس السم بالعسل للحسن : « ان لله جنوداً من عسل » وقوله للمجرم بسر بن ارطاة حين جهزه للسلب والقتل بالسلاح والجنود : « سر حتى تمر بالمدينة ، فاطرد الناس ، واخف من مررت به ، وانهب اموال كل من أصبت له مالا » وقوله لسفيان بن عوف ، وقد سيره الى العراق ، لنفس الغاية التي سير اليها بسراً للحجاز : « اقتل من لقيته ممن ليس على مثل رأيك ، واخرب كل ماتمر به من القرى » .

أما حلم معاوية فقد كان يضيق عن الضعفاء الذين

لاحيلة لهم ولا وسيلة ، كما رأينا في وصيته لجلاوزته وشياطينه ويتسع للذين يخشى خطرهم على عرشه وسلطانه ، كحلمه عن جارية بن قدامة .

وفد جارية على معاوية ، فقال له معاوية :

أنت الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شيعتك تجوس قرى عربية تسفك دماءهم .

قال له جارية : دع عنك علياً ، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ، ولا غششناه منذ صحبناه .

قال معاويـة : ويحك ياجارية ، ما كان أهونك على أهلك ، اذ سموك جارية .

فقال له : أنت يامعاوية أهون على أهلك ، اذ سموك معاوية . (معاوية كلبة عاوية) .

فقال له : لا أم لك .

قال جاريـة : امي ولدتني . ان قوائم السيوف التي لقيناك بها في صفين في أيدينا .

قال : انك لتهددني .

قال : انك لم تملكنا قسرة . ولم تفتحنا عنوة ، ولكن أعطيناك عهوداً ومواثيق ، فان وفيت لنا وفينا ، وان ترغب الى غير ذلك فقد تركنا وراءنا رجالا مدداً وأذرعاً شداداً ، وألسنة حداداً ، فان بسطت الينا فتراً من عدر دلعنا اليك بباع من ختر .

فقال له معاوية : لا أكثر الله في امثالك .

أجل ، لجارية وأمثاله كان يتسع حلم معاوية ، أما عبيد الله بن العباس ، وأصحاب حجر بن عدي ، وأهل القرى الآمنين قد ضاق عنهم حلمه وكرمه ودينه وضميره

ومن الشواهد على حلم معاوية سجوده « لله شكراً » حين بلغه موت الحسن بن علي ريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة . فبلغ ذلك عبد الله بن عباس ، وكان يومئذ بالشام ، فدخل عليه ، وقال له : يامعاوية بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لموت الحسن ، أما والله ماسد

جسده حفرتك ، ولا زاد نقصان أجله في عمرك ، ولقد مات ، وهو خير منك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بمن هو خير منه جـــده رسول الله ، فيجبر الله مصيبته ، وخلف علينا من بعده أحسن الخلافة ، ثم شهق ابن عباس وبكى فبكى من كان حاضراً .

فقال معاوية : بلغني انه قد ترك بنين صغاراً . فقال ابن عباس : كلنا كان صغيراً فكبر ، فقال معاوية : كم أتى له من العمر ؟ قال ابن عباس : أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده (يشير الى ان مولد الحسن كان في سنة الأحزاب يوم كان معاوية وأبوه وأخوه يقاتـــلون رسول الله) .

فقال له معاوية : أصبحت سيد قومك يابن عباس من بعد الحسن . فقال له : أما مع وجود الحسين فلا . فقال له معاوية : لله أبوك مااستنبأتك إلا وجدتك معداً .

قتل معاويـة الحسن الزكي ، وكبر وسجد لله ، لأنه

وفق للغدر بالامام ، وقتل ولده يزيد الحسين ، ووضع رأسه بالطشت يعبث به بقضيب مكتوب عليه « لاإله إلا الله محمد رسول الله » حتى اذا سمع الأذان نهض وصلى بالناس جماعة ! . .

هكذا فعلوا بالأمس ، وهكذا يفعلون في كل عصر .

ويتسع هذا الباب لمجلدات ، نختمه بالمقارنة التالية :

رأى عبد الملك الامام زين العابدين ، فاستعظم مارأى من أثر السجود ، فقال : يا أبا محمد علام هذا الاجتهاد ؟ وقد سبق لك من الله الحسنى ، وأنت بضعة من رسول الله قريب النسب وكيد السبب ، وانك لذو فضل على أهل بيتك ، وذوي عصرك ، ولقد أوتيت من الفضل والعلم والدين والورع مالم يؤته مثلك ولا قبلك إلا من مضى من سلفك ، وأقبل يثني عليه ويطريه .

فقال له الامام : كلما ذكرته ووصفته فهو من فضل الله سبحانه وتوفيقه وتأييده فأين شكره على ماأنعم ؟

كان رسول الله يقف في الصلاة حتى ترم قدماه ، ويطأ في الصوم حتى يعصب فوه ، فقيل له يارسول الله ألم يغفر الله لك ماتقدم من ذنبك ، وماتأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ على ما أولى وأبلى ، وله الحمد في الآخرة والأولى .

ثم قال الامام لعبد الملك : والله لو تقطعت أعصابي وسالت مقلتاي على صدري لا أقوم لله بشكر عشر العشير من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لايحصيها العادون ه . لا والله لايشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا سر ولا علانية .

ثم بكى الإمام ، وبكى عبد الملك ، وقال : شتان بين من طلب الآخرة ، وسعى لها سعيها ، وبين من طلب الدنيا من أين جائته ، ماله في الآخرة من خلاق .

وكما ان الامام لايشغله شاغل عن ذكر الله وذكره في ليل ولا نهار ، كذلك خصوم أهل البيت لايشغلهم عن

معصية الله شاغـل في ليل ولا نهار ، يفسقون ويفجرون سراً وعلانية .

كان عبد الملك الذي وصف نفسه وأهله بقوله طلب الدنيا من أين جاءته . كان يقول : لايأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه . وطرب يوماً ولده يزيد ، وعنده جاريتان : حبابة ، وسلامة القس ، فقال : دعوني أطير فقالت له حبابة على من تدع المسلمين . فقال عليك .

وكان الوليد بن يزيد حفيد عبد الملك مولعاً بالخمر شب عليه ونشأ ، فعمل حوضاً في بستان ، وملاه خمراً فكان يفسق ويزني ، ثم يلقي بنفسه في حوض الخمر يهب منه ، ثم يخرج الى الزنى والفسق ، الى ان يدخـل وقت الصلاة فيلبس العمامة ، ويؤم الجماعة !

وكل واحد من الأئمة الأطهار هو زين العابـدين ، وكل عدو لهم هو يزيد .

مناظرة المأمون مع العلماء(١)

قال صاحب « البحار » فى أول الجـــزء الثالث من كتاب الايمان : ان صاحب كتاب « البرهان » ذكر إن الخليفة العباسي المأمون اختار أربعين عالماً من الذين يفهمون ويحسنون الجواب ، فأحضرهم فى مجلسه ، وقال لهم :

اني أدين الله عز وجل بأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب هو خير الخلق بعد رسول الله ، وأولى الناس ، وأحقهم من بعده بالخلافة ، فماذا تقولون ؟

فانبرى له أعلمهم ، وهو اسحاق بن حماد ، وجثا على ركبتيه ، وقال له :

لسنا نعرف ماذكرت من أمر علي ، وقـــد دعوتنا للمناظرة ، ونحن مناظروك على ذلك .

---

(١) المناظرة طويلة جداً وقد أوجزتها بتصرف .

فقال له المأمون : تسألني أو أسألك ؟

فقال اسحاق : انا أسألك .

المأمون : سل ماشئت .

قال اسحاق : أين دليلك على دعواك ؟

قال المأمون : بأي شيء يتفاضل بعض الناس على بعض ؟

قال اسحاق : بالأعمال الصالحة .

قال المأمون : لو افترض ان شخصاً كان أفضل من صاحبه في عهد الرسول ، لأن عمله أجل وأفضل ، ثم أراد المفضول الذي كان متأخراً في عهد الرسول ، ان يلحق بالفاضل ، فعمل وأكثر من الخير بعد عهد الرسول فهل يستطيع اللحاق بالفاضل الأول ؟ .

قال اسحاق : كلا ، بكل تأكيد . ان الأفضل في عهد الرسول لايلحق أبداً .

قال المأمون : ان أصحابك الذين أخذت دينك عنهم

وجعلتهم قدوة لك قد رووا لعلي فضائل ، فانسب هذه الفضائل التي يسلم بها أصحابك الى فضائل غـــيره ، فان رأيت انها تشبه فضائل علي ، ولو من بعيد ، فقل بأن غيره خير منه وأفضل .

ثم قال المأمون : والآن يا اسحاق ، أخبرني أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله محمداً ، ولم يكن معه أحد .

قال اسحاق : الاخـــلاص بالشهادة ، والسبق الى الاسلام .

قال المأمون : هل علمت ان أحـداً سبق عليـاً الى الاسلام ؟

قال اسحاق : أجل ، ان عليـاً سبق الى الاسلام ، ولكن عندما أسلم كان حدثاً صغير السن ، وأسلم غـيره من بعده ، وكان كبيراً قد تكامل عقله .

قال المأمون : هلم أسلم علي من تلقائه ، أو دعاه الرسول الى الاسلام ؟

قال اسحاق : بل دعاه الرسول ؟

قال المأمون : هل كانت دعوة الرسول لعلي بأمر من الله ، أو فعلها الرسول دون أمر الله ؟

قال اسحاق : حاشا الرسول أن يفعل شيئاً إلا بأمر الله ومرضاته .

قال المأمون : لقد أمر الله نبيه أن يدعو علياً للاسلام وهو يعلم انه صبي ، فدعاه الرسول امتثالا لمرضاة الله سبحانه ، ولم يدعو أحداً سواه من الصبيان ، لأن الله لم يأمره بدعوتهم ، لعلمه بأن الصبي لايؤتمن على الدين فقد يؤمن الساعة ، ثم يرتد بعدها تلبية لطلب أهله أوغيرهم اذن ، لقد اختار الله علياً بدعوة الاسلام من بين الصبيان ليبين فضله على الناس أجمعين ، كي يعرفوا مكانته وعظمته وان هذه فضيلة لم يشاركه بها أحد ، وانه لم يشرك بربه طرفة عين . فبهت اسحاق ولم يستطع جواباً .

ثم سأله المأمون أي الأعمال كان أفضل بعد السبق الى الاسلام ؟

قال اسحاق : الجهاد في سبيل الله .

قال المأمون : صدقت ، فهل تجد لأحد من الجهاد ماكان لعلي ! وكم كان قتلى يوم بدر ؟ وهو أول فتح ونصر للاسلام ؟

قال اسحاق : كانوا نيفاً وستين رجلا من المشركين

قال المأمون : كم قتل علي منهم ؟

قال اسحاق : نيفاً وعشرين رجلا ، وأربعون لسائر الناس .

قال المأمون : يكفي يوم بدر شاهداً على ان جهاد علي فوق كل جهاد ، ولا أطيـــل عليك في أمر الجهاد بأكثر منه ، ولكن أريد ان أسألك يا اسحاق عن حديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » هل ترويه ؟

قال اسحاق : نعم أرويه جيداً .

قال المأمون : ان هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه وكان نبياً ، وعلي ليس نبياً ، ولا أخاً للنبي ، اذن ، ما معنى قول الرسول : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ؟

قال اسحاق لقد أراد النبي بقوله هذا ان يطيب نفس علي ، لأنه تألم من قول المنافقين بأن الرسول استخلفه استثقالا له .

فابتسم المأمون من قول اسحاق ، وقال له :

أين أنت عن كتاب الله ؟ ان معنى الحديث في القرآن بالذات .

قال اسحاق : وكيف ذلك ؟

قال المأمون : ان الله أخبر عن موسى بأنه قال لأخيه أخلفني في قومي واصلح ، ولا تتبـــع سبيل المفسدين ، وهكذا أراد محمد ان يكون علي خليفته في قومه ، وان

يصلح شأنهم ، ولا يتبع أهوائهم .

قال اسحاق : ان موسى استخلف هارون موقتاً ، لبينما يعود من مناجاة ربه ، وكذلك إستخلف محمد علياً على المدينة لبينما يعود من غزوته .

قال المأمون : كلا ، ليس الامر كما ذكرت . ان موسى ذهب الى ربه وحده ، ولم يذهب أحد معه من قومه ، فاستخلف هارون عليهم ، ومحمد ذهب معه قومه ، ولم يبق في المدينة الا النساء والصبيان ، ولا معنى لاستخلاف علي على النساء والصبيان ، فتعين ان يكون علي خليفة فى قوم محمد ، كما كان هارون خليفة في قوم موسى ، وقد بين النبي ذلك بقوله الا إنه لانبي بعدي ، وهذا يكشف بأن محمداً قد استخلف علياً على كل حال الا النبوة ، لأن محمداً خاتم النبيين ، وما كان قول النبي ليبطل أبداً .

فقال العلماء الحاضرون للمأمون : الحق ماتقوله ، ونحن نعتقده ، وفقك الله .

وسواء أكانت هذه المناظرة قد حصلت ، أم هي من وضع واضع ، فان فيها من العلم مايعبر عن الواقع ، فان لم ينطق بها مقال فقد عنها لسان الحال :

الشيعة

لكي نعرف شيعة علي علينا أن نعرف أولا من هو علي ؟ اما المعرفة بشخصيته فلا تحتاج الى الدرس في المعاهد والجامعات ، أو قراءة ما ألف فيه من المجلدات ، وما على الراغب الا ان يقرأ كلمة من كلماته المأثورة المشهورة ، فسيجدها كافيه وافية في الدلالة على عظمته ، بالرغم انها كعظمة الكون لاتحدها نهاية ، وهنا موضع الاعجاز .

وحسب الذين لايعرفون الامام ان يقرأوا قوله :

« والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على ان أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة مافعلت » .

يالحنان والرأفة . يالعلم والصدق . . . علي يقسم بالله وهو العارف به والصادق من غير ايمان : انه لو خير بين ان يسلب نملة قشرة شعيرة لاشعيرة ، ويملك الكون بشمسه

وقمره ، بأرضه وسمائه ، بانسانه وحيوانه ، بذهبه ومعدنه وبين من يترك للنملة قشرتها ، ويحرم من كل شيء ، بل يجر في القيود والأغلال لاختار الحرمان والآلام مع العدل على ملك الكون بأسره مع الظلم ، وأي ظلم : سلب قشيرة صغيرة لنملة حقيرة ؟ ! . .

ان فناء علي في جنب الله هذا الفناء أخرجه عن أفراد الانسان العلويين ، وجعله مبدأ وعنواناً للحق ، حتى أصبح اسمه مرادفاً لاسم الحق ، ومن هنا انقسم الناس فيه الى محبين ومبغضين ، تماماً كما انقسموا في الحق الى موالين ومعاندين .

سئل الامام الصادق : بماذا صار علي قسيم الجنة والنار فقال : لأن حبه ايمان وبغضه كفر ، وانما خلقت الجنة لأهل الايمان ، وخلقت النار لأهل الكفر .

وكما بلغ الامام من التقى والتضحية لأجل الحق أقصى مايمكن ان يصل اليه انسان كذلك هو في علمه وصدقه

مايمكن ان يصل اليه انسان كذلك هو في علمه وصدقه وشجاعته وسماحه بلغ مرتبة ليس فوقها الا الله والرسول وإذا كان كلامه فوق كلام الناس ودون كلام الله ، كما قيل ، فكل صفاته كذلك دون استثناء ، وهذه نتيجة طبيعية لشخصيته المنسجمة المتماسكة ، واذا كان معنى الاعجاز خرق العادات فان كل صفة من صفاته خارقة للعادة .

هذا هو الامام ، فمن أراد ان ينتمي اليه ، ويكون في عداد شيعته فعليه أن يقتدي به ، أو قل عليه ان يلتزم الشروط التي حددها أهل البيت ، واعتبروها أساساً للدخول في حزبهم ، والانتساب الى شيعتهم .

قال الإمام زين العابدين : « أبغض الناس الى الله من يقتدي بسنة امام ، ولا يقتدي بأعماله » . ومحال ان يكون أبغض الناس الى الله سبحانه ، من شيعة أحب الخلق لديه وقال الإمام الصادق : حتى على كل مسلم يعرفنا ان يحاسب

نفسه في كل يوم وليلة ، فان رأى حسنة استزاد منها ، وان رأى سيئة استغفر منها » . وقال الإمام البـاقر : « والله ماشيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه » اذن الشيعي حقاً هو المسلم القرآني الذي يحمل روح أبي ذر وعمار بن وياسر وإلا فهو شيعي بالاسم ، وكفى :

حين يذهب الشيعي الى زيارة قبر الامام في النجف يتجه ، ويقول : « السلام عليك ياأمير المؤمنين ، وامام المتقين ، وقائد الغر المحجلين » فاذا لم يكن هذا القائل من أهل الايمان والتقوى فقد شهد على نفسه بأن الإمام برىء منه ومن أعماله ، تماماً كالذي يقرأ القرآن ، والقرآن يلعنه ـ كما جاء في الحديث ـ لأنه فاسد منافق ، والقرآن يلعن الفاسقين والمنافقين .

ومن الطريف ان بعض الذين يدخلون البرلمان باسم التشيع زوراً وبهتاناً لايقف عند الدعوى بأنه شيعي ، لأن مأمور الاحصاء كتب في هويته « مسلم شيعي » اعتماداً على

شهادة المختار والناطور ، بل يزعم انه يمثل الطائفة الشيعية ويحتج بها كلما أراد السلب والنهب ، كأن مذهب التشيع قائم على الفوضى والظلم ، والفسوق والفجور ، والتحريض على اغتيال الأبرياء ، كما فعل ويفعل هذا « الآثم » الذي يزعم التمثيل عن الشيعة . وأراهن اذا كان يعرف شيئاً عن مذهب التشيع ، أو يستطيع ان يعد أسماء أئمة الشيعة الاثني عشر على الترتيب ، بل أراهن اذا كان قد صام يوماً واحداً ، أو أدى فريضة واحدة ، انه يسخر من المصلين والصائمين ، وممن يدين بالحب والولاء للنبي وأهل بيته . وبالرغم من كل ذلك يصبح نائباً ووزيراً باسم الشيعة ويقتل الشيعة باسم الشيعة ، ومن قبله نكث يزيد بن معاوية ثنايا الحسين بقضيب كتب عليـــه « لا إله الا الله محمد رسول الله » .

ومنذ انتسب هذا وأمثاله الى الشيعة أصبحوا لقمة باردة لكل طامع ، وصدق عليهم قول الامام : « لاتنفك هذه

الشيعة حتى تكون بمنزلة الماعز ، لايدري الخابس ـ أي الآخذ ـ على ايها يضع يده ، فليس لهم شرف يشرفونه ولا سناد يستندون اليه في أمورهم (١) أي بلغوا من الضعف جداً أصبحوا معه كقطيع الماعز المعد للذبح ، يأخذ الجزار منه مايشاء ، حيث لاراعي يمنعه ولا زعيم يردعه .

وقال أيضاً : « كأني بكم تجولون جولان الابل تتبغون مرعى ، ولا تجدونها يامعشر الشيعة » (٢) .

صور من الابل والماعز يرسمها سيد الأولياء للشيعة لا تختلف في شيء عما هم عليه الآن . انظر الى الشيعة في كل مكان فهل تجد لهم قائداً يعمل بوحي من حـــلال الله وحرامه ؟ ! هل تسمع صوتاً لمتزعم أو متقدم الا بدافع من أهوائه وسفه أبنائه ؟ ! فان تولى أحدهم الرياسة الدينية

---

(١) بحار الأنوار ، المجلد الثالث عشر ، باب « ماورد عن الامام في المهدي » :

(٢) المصدر السابق .

استحال في حقه أن يفكر بضعف الطائفة وبؤسها ومستقبل أبنائها ، وان يقوم بأي عمل للتخفيف عنها وتحسين حالها لأن هذا سياسة ، ولا ينبغي لرجل الدين التدخل بشيء من السياسة ، ويحصر كل همه واهتمامه بكثرة المقلدين والاتباع وبأية وسيلة تأتيه الحقوق والأموال ؟ ومن أين ؟ وان تولى الرياسة الزمنية أضاف الى سيئاته سيئات بعضها فوق بعض . فلا بدع اذن اذا أصبح الشيعة ضالة تجول ولا تهتدي الى خير ، وماعزاً تساق الى المسلخ ! .

لقد لاقى الشيعة ألواناً من التنكيل والاضطهاد منذ عهد الأمويين الى آخر عهد العثمانيين ، حتى اذا ذهب هؤلاء ، وسيطر الاستعمار الغربي على بلاد العرب كان نصيب الشيعة من ظلمه وبغيه أكثر من نصيب أية طائفة من الطوائف ، وبعد أن ولى الانكليز والفرنسيون ، واستقلت البلاد العربية بقيت حقوق الشيعة نهباً لمن يشاء وبخاصة في لبنان .

جاء الرئيس الأول سنة ١٩٤٣ فقرب بعض زعماء الشيعة ، وأبعد آخرين فلم تنل الطائفة حقوقها ، ثم جاء الثاني فأبعد القريب وقرب البعيد ، فكانت الحال أدهى وأمر . ورددنا مع الشاعر :

ياليت جور بني مروان دام لنا

وليت عدل بني العباس في النار

ثم جاء الثالث ، وأعلن سياسة الحياد وعدم الانحياز ، ولكن مازال المتشيع ينشد الحق فلا يجده ، لقد مررنا بكل عهد ، والحال هي الحال ، اذن هناك سر . . . انه في الداخل لامن الخارج . . انه الداء الذي وصفه الامام « ليس لهم شريف يلوذون به ، ولا سناد يستندون اليه فى أمورهم » .

وصدق شيخنا الشبيبي :

أيها المصلح من أخلاقنا ايها المصلح الداء هنا

• • •

اننا نجني على أنفسنا حين نجني ثم ندعو من جنى؟

مولد الامام وأولاده

ولادة الامام

ولد علي في قلب البيت الحرام بمكة يوم الجمعة ١٣ رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، وأبوه عم الرسول ، وامه بنت عم والده ، وكان النبي يسمي السنة التي ولد فيها الامام سنة الخير ، وسنة البركة ، وكان يوجره اللبن عند شربه ، ويصب عليه الماء وقت غسله ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه فى يقظته ، ويحمله على صدره .

كناه وألقابه

سمته أمه أسداً باسم أبيها ، وسماه أبوه علياً ، وكان الحسن والحسين في حياة الرسول لاينادیانه « ياأبانا » لأنهما

لا يران أباً الا رسول الله (ص) ، فلما قبض جدهما ناديا الامام بيا أباه ، أما ألقابه فلا يبلغها الاحصاء ، منها أمير المؤمنين ، ويعسوب الدين ، والمرتضى ، وأخو الرسول ، وزوج البتول ، وقاتل الفجـــرة ، وقسيم الجنة والنار ، وصاحب اللواء ، وسيد العرب ، وما الى ذاك ، أما أمير النحل فقال صاحب البحار في آخر المجلد الثالث : روي انه وجد في غار نحل ، فلم يطق أحد الوصول اليه ، لشدته ، فقصده علي ، واستخرج منه عسلا كثيراً ، فسماه الرسول أمير النحل .

أزواجه وأولاده

تزوج فاطمة ، وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهي بنت عشر . ولدت فاطمة بعد النبوة بخمس سنين ، وزوجه اياها الرسول في رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وبنى بها الامام في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها ، وتوفيت

ولها من العمر ثماني عشرة سنة ، وخمسة وسبعون يوماً ، وجاء في الحـــديث « لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ » . وولدت له الحسن والحسين ، وزينب الكبرى ، وزينب الصغرى المكناة بام كلثوم .

وتزوج بعدها بنساء كثيرات ، منهن :

١ ــ امامة بنت أبي العاص ، وامها زينب بنت الرسول وولدت له محمد الأوسط . قتل في كربلاء .

٢ ــ خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية ، ولدت محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية .

٣ ــ أم حبيبة بنت ربيعة ، ولدت عمر ورقية .

٤ ــ أم البنين بنت حزام الكلابية ، ولدت العبـاس وجعفر وعبد الله وعثمان قتلوا في كربلاء .

٥ ــ ليلى الدارمية ، ولدت محمد الأصغر المكنى بأبي بكر ، وعبد الله ، قتلا في كربلاء .

٦ ــ أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولدت يحيى وعون .

٧ ـ أم مسعود الثقفية ، ولدت أم الحسن ورملة .

وتزوج غير الذي ذكرناهن ، رزق منهن بنات وهن نفيسة وام هاني ، ورقية الصغرى ، وام الكرام ، وجمانة وامامة ، وام سلمة ، وميمونة وخديجة وفاطمة .

ومجموع أولاده ٢٧ ، منهم ١٤ ذكور ، والباقي اناث وكان عنده يوم قتله من النساء اثنتان وعشرون ، منهن أربعة زوجات : امامة بنت أخت سيدة النساء فاطمة ، وليلى بنت مسعود ، وأسماء بنت عميس ، وام البنين الكلابية و ١٨ امهات أولاد .

صفة الامام

كان ربعة ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، أسمر الوجه أصلع ، يحف الشعر بالصلع ، كأنه اكليل ، رقيق الحاجبين مع طول فيها وامتداد ، أسود العينين في سعة تزين لحيته وجهه وصدره ، حسن الوجه واضح البشاشة ، أغيد كأن

عنقه ابريق فضة ، عريض الصدر ، طويل الظهر ، كبير البطن ، مستوي المتن حتى كأنه قطعة واحدة لامفاصل فيها ، غليظ الكفين ، ضخم الأعضاء ليس عليها كثير لحم ، لايستبين عضده من ساعده ، عبل الذراعين ، عظيم المرفقين والكعبين والركبتين ، رقيق الساقين .

قال المغيرة بن شعبة كان علي على هيئة الأسد ، يغلظ من أعضاء الأسد ، ويسترق ما استرق .

وكانت مشيته كمشية رسول الله (ص) وكان اذا أقدم على حرب هرول لايلوي على شيء ، وكان يرفع الفارس بيد واحدة ، ويجلد به الأرض من غير جهد وعناء ، واذا أمسك بذراع انسان احتبست أنفاسه ، وكان لايبالي بحر ولا برد ، فربما لبس ثياب الصيف في الشتاء ، وثياب الشتاء في الصيف .

اطلب من مكتبة النهضة ببغداد كتب
المؤلف الاستاذ محمد جواد مغنية التالية :

- الله والعقل
- الآخرة والعقل
- النبوة والعقل
- المجالس الحسينية
- مفاهيم انسانية في كلمات الامام جعفر الصادق
- مع بطلة كربلاء
- مع علماء النجف الأشرف
- الشيعة والحاكمون
- الفصول الشرعية
- الوصايا والمواريث
- فلسفة المبدأ والمعاد
- نظرات في التصوف والكرامات
- علي والفلسفة

اطلب من مكتبة النهضة ببغداد كتب

المؤلف الاستاذ محمد جواد مغنية التالية :

- فضائل الامام علي
- الله والعقل
- الآخرة والعقل
- النبوة والعقل
- المجالس الحسينية
- مفاهيم انسانية في كلمات الامام جعفر الصادق
- مع بطلة كربلاء
- مع علماء النجف الأشرف
- الشيعة والحاكمون
- الفصول الشرعية
- الوصايا والمواريث
- فلسفة المبدأ والمعاد
- نظرات في التصوف والكرامات
- علي والفلسفة